

رسالة يعقوب

طريقان للحكمة

الدرس
الثاني



خدمات الألفية

الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

	I	المقدمة
	II	الحكمة التأملية
		أ. الاحتياج
	١.	تحدي التجارب
		ب. الإرشاد
	١.	الامتحان
	٣.	الكمال
		ج. الإيمان
	III	الحكمة العملية
		أ. الاحتياج
	١.	الحكمة الأرضية
		ب. الإرشاد
	١.	معيار ناموس الله
		ج. الإيمان
	١.	الإيمان والأعمال
	IV	الخاتمة
٢.		التجارب المتنوعة
٢.		الصبر
٤.		المكافأة
٢.		الحكمة السماوية
٢.		الألويّات في ناموس الله
٢.		الإيمان والتبرير

رسالة يعقوب

الدرس الثاني

طريقان للحكمة

المقدمة

لقد واجهنا جميعاً في وقت ما أوضاعاً اشتَمَلت على تحديات كانت مُربكة ومُحِبطة لنا. وفي هذه الظروف، كثيراً كنا نتمنى أن نجد صديقاً يفهم ما كان يحدث معنا فعلاً، ويُمكنه أن يُعطينا بعض النصائح العمليّة لتتبعها. ويكون مثل هذا الصديق مصدر حكمة يقدم لنا فرحاً عظيماً. من نواحٍ عديدة، كان هذا هو حال المؤمنين الأوائل الذين استلموا رسالة يعقوب. فقد واجهوا ظروفاً بتحديات عظيمة، سببت الحيرة والإحباط لكثير منهم. وكتب يعقوب ليُعطيهم حكمة. فكتب ليذكّرهم بمقاصد الله الصالحة من وراء ظروفهم. وعرفهم بأن الله قدم إرشاداً جديراً بالثقة ينبغي عليهم اتباعه. وأكد لهم بأنهم إن قبلوا حكمة الله، فإنهم سيخترعون فرحاً عظيماً. هذا هو الدرس الثاني في سلسلتنا عن رسالة يعقوب، وهو يركّز على أحد الموضوعات الرئيسيّة التي تربط كامل الرسالة. وقد أعطينا هذا الدرس العنوان "طريقان للحكمة"، لأننا سنستكشف كيف قدّمت هذه الرسالة نوعين من الحكمة مقدّمين من الله للكنيسة الأولى. وسنرى كيف تقدّم توجيهاتٍ شبيهةً لنا نحن أتباع المسيح اليوم. رأينا في درسنا السابق أنّ بُنية رسالة يعقوب ومحتواها كليهما يعكسان نوعاً من أدب الحكمة اليهودي الشهير والذي كان منتشرًا في القرن الأول الميلادي. وقد لحصنا الغرض الأصلي للرسالة بما يلي:

دعا يعقوب قراءه أن يطلبوا الحكمة من الله ليكون لهم الفرح في تجاربهم.

استخدم يعقوب فعلياً الكلمات "الحكمة"، وفي اليونانية صوفياً [σοφία]، و"حكيم" وفي اليونانية سوفوس [σοφός]، في مقطعين فقط من رسالته. فنجد هذين التعبيرين في ١: ٢-١٨، وأيضاً في ٣: ١٣-١٨. لهذين المقطعين أهمية خاصة لأن كل واحدٍ منهما يُشير إلى طريقي الحكمة اللذين دعا يعقوب قراءه لأن يتبعوهما.

والآن، ينبغي أن نلاحظ أنه حين يفكر البعض في الحكمة في رسالة يعقوب فإنهم يفكرون في تمييز يعقوب بين الحكمة الأرضية والحكمة السماوية. وسوف نتناول كلا هذين النوعين من الحكمة في وقت لاحق من هذا الدرس. ولكن لأجل أغراض هذا الدرس، سنركّز على طريقي الحكمة

الرئيسيين اللذين يتّم التعرف عليهما عادة في تقاليد الحكمة اليهودية. الطريق الأول هو ما ندعوه "بالحكمة التأملية"، والطريق الثاني هو ما ندعوه "بالحكمة العملية".

تظهر الحكمة التأملية بوضوح في أسفار مثل سفري أيوب والجامعة. فهذه الأسفار تبحث عن فهم لمقاصد الله الكامنة وراء التجارب والضيقات. وأما الحكمة العملية فتظهر بأبرز صورة في سفر الأمثال. هذا السفر مخصّص بشكل رئيسي لتقديم النصح والإرشاد في شؤون الحياة اليومية. في دراستنا عن طريق الحكمة اللذين نجدهما في رسالة يعقوب، سنتناول أولاً طريق الحكمة التأملية. وثانياً، سننظر إلى طريق الحكمة العملية. ولنبدأ بما اهتم يعقوب بتعليمه عن الحكمة التأملية.

الحكمة التأملية

واجهنا جميعاً ظروفًا اعتقدنا أننا نفهمها، واكتشفنا لاحقاً أننا كنا مخطئين. فغالباً ما يجب أن ننظر إلى ما وراء المظاهر، ثم نعيد النظر بتركيز لندرك ما يحدث فعلاً. ومن نواحٍ عديدة، هكذا بدأ يعقوب كتابة الجزء الرئيسي من رسالته. فهو دعا قراءه للنظر إلى ما وراء مظاهر الظروف المحيطة، لإدراك ما كان يحدث فعلاً في حياتهم.

سنبحث في كيفية تناول يعقوب لهذا النوع من الحكمة التأملية بثلاث طرق. أولاً، سننظر إلى احتياج قرائه. ثانياً، سنرى الإرشاد الذي قدمه يعقوب لهم. وثالثاً، سنلاحظ الرابط بين الحكمة التأملية والإيمان. ولنبدأ أولاً باحتياج قراء رسالة يعقوب للحكمة التأملية.

الاحتياج

تعلمنا في درسنا السابق أن القراء الأصليين لهذه الرسالة يتأفون بشكل أساسي من مسيحيين من أصول يهودية. وفي الغالب أجبر هؤلاء على ترك أورشليم في موجات الاضطهاد التي تلت استشهاد اسنقائوس. وواضح ممّا كتبه يعقوب أن كثيرين من هؤلاء كانوا بحاجة للمساعدة في حالة الإحباط والحيرة التي كانوا فيها وهم يواجهون تجارب قاسية في البلاد التي تشتتوا فيها. في رسالة يعقوب ١: ٢، نرى أن يعقوب كان مُنشغلاً باحتياجاتهم هذه. فبعد الآية الافتتاحية الأولى مباشرة في رسالته، كتب قائلاً:

أَحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقْعُونَ فِي تَجَارِبٍ مُنْتَوَعَةٍ. (يعقوب ١ : ٢)

وَلَفْهَمُ احْتِيَاجِ قُرْأَةِ رِسَالَةِ يَعْقُوبَ، سَيَفِيدُنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى بُعْدَيْنِ يَشْتَمِلُ هَذَا النِّصَّ عَلَيْهِمَا. وَلِذَا، سَنَنْظُرُ أَوْلًا إِلَى تَحَدِّيِ التَّجَارِبِ. وَثَانِيًا، سَنَبْحَثُ فِي التَّجَارِبِ الْمُتَنَوَّعَةِ الَّتِي كَانَ قُرْأَةُ رِسَالَةِ يَعْقُوبَ يُوَجِّهُونَهَا. وَلِنَبْدَأُ بِتَحَدِّيِ التَّجَارِبِ.

تحدي التجارب

الكَلِمَةُ "تَجَارِبٍ"، فِي رِسَالَةِ يَعْقُوبَ ١ : ٢، هِيَ تَرْجَمَةٌ لِلأَسْمِ اليُونَانِيِّ بِيْرَاسْمُوس [πειρασμός]. وَيُمْكِنُ تَرْجَمَةُ هَذِهِ الكَلِمَةِ إِلَى "مِحْنَةٍ" وَ"غَوَايَةٍ" وَ"امْتِحَانٍ". وَهَكَذَا أَيْضًا الفِعْلُ مِنْ هَذَا الأَسْمِ هُوَ بِيْرَازُو [πειράζω]، وَيُمْكِنُ تَرْجَمَتُهُ أَيْضًا إِلَى "يَجِيزُ فِي مِحْنَةٍ"، وَ"يَغْوِي"، وَ"يَمْتَحِنُ". وَسَيَسَاعِدُنَا فَهْمُنَا لِنَطَاقِ التَّرْجَمَاتِ المُمَكِّنَةِ هَذِهِ فِي فَهْمِ الظُّرُوفِ الَّتِي كَانَ قُرْأَةُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الأَصْلِيَّةِ يُوَجِّهُونَهَا. وَهَكَذَا، يُمَكِّنُ القَوْلُ إِنَّهُمْ وَاجَّهُوا اخْتِبَارَاتٍ صَعْبَةً، وَإِنَّ هَذِهِ الاخْتِبَارَاتِ عَرَضَتْهُمْ لِتَجَارِبٍ بِهَدَفٍ امْتِحَانِيٍّ.

مِنَ المُؤَسِّفِ أَنَّ المُؤْمِنِينَ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ كَثِيرًا مَا يَقْلُونَ مِنْ أَمِيَّةٍ مَا كَانَ يَعْقُوبُ يُفَكِّرُ بِهِ، لِأَنَّنا نَعْتَبِرُ "المِحْنَةَ" وَ"الإِغْوَاءَاتِ" وَ"الامْتِحَانَاتِ" وَكَأَنَّهَا أَفْكَارٌ مُخْتَلِفَةٌ وَمُنْفَصِلَةٌ بَعْضُهَا عَنِ بَعْضٍ. وَلَكِنَّ الكِتَابَ المُقَدَّسَ، خَاصَّةً أَدَبَ الحِكْمَةِ، مِثْلَ سَفَرِ أَيُّوبَ، يَقَدِّمُ هَذِهِ المُفَاهِيمَ بِاعتِبَارِهَا أَوْجَهًا مُخْتَلِفَةً لِكُلِّ ظَرْفٍ يَشْكَلُ تَحْدِيًا يُوَجِّهُهُ شَعْبُ اللهِ.

فَالظُّرُوفُ الَّتِي تَشْكَلُ تَحْدِيًا هِيَ مِحْنٌ لِأَنَّهَا صَعْبَةٌ وَتَتَطَلَّبُ الاحْتِمَالَ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الظُّرُوفَ لَيْسَتْ مُحَايِدَةً مِنَ النَّاحِيَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ. إِذْ هِيَ إِغْوَاءَاتٌ تَغْوِي الإنسانَ لِلاِسْتِجَابَةِ بِطُرُقٍ خَاطِئَةٍ أَوْ أَثِيمَةٍ. كَمَا أَنَّ الظُّرُوفَ الَّتِي تَشْكَلُ تَحْدِيَاتٍ هِيَ أَيْضًا امْتِحَانَاتٌ مِنَ اللهِ. فَهِيَ وَسِيلَةٌ يَسْتَخْدِمُهَا اللهُ لِامْتِحَانِ حَالَةِ قُلُوبِنَا وَإِظْهَارِ حَقِيقَتِهَا.

وَإِذْ نَضَعُ فِي اعتِبَارِنَا الأَحْتِيَاجَ النَّاتِجَ عَنِ تَحْدِيِ التَّجَارِبِ، عَلَيْنَا أَيْضًا أَنْ نَنْتَبِهَ إِلَى أَنَّ يَعْقُوبَ يَذْكَرُ فِي ٢ : ٢ التَّجَارِبَ المُتَنَوَّعَةَ.

التجارب المتنوعة

حين تحدّث يَعْقُوبَ عَنِ التجارب المتنوعة أشار إِلَى عددٍ مِنَ الصُّعُوباتِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى حالاتِ الاضْطِرَابِ والنزاعاتِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ الْأَثْرِيَاءِ فِي الْكَنِيسَةِ الْأُولَى. فَمِنْ نَاحِيَةٍ، كَتَبَ يَعْقُوبُ كَثِيرًا عَنِ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُواجِهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءَ. فَبِحَسَبِ الْأَصْحَاحَاتِ ٢ إِلَى ٦ مِنْ سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ، كانَ كَثِيرُونَ مِنْ مُؤْمِنِي الْكَنِيسَةِ الْأُولَى فِي أُورُشَلِيمَ فُقَرَاءَ. وَلِأَنَّ يَعْقُوبَ كَتَبَ إِلَى مُؤْمِنِينَ كَانُوا قَدْ تَشَبَّهُوا عَنِ أُورُشَلِيمَ بِسَبَبِ الاضْطِهَادِ، فَالاحْتِمَالُ الرَّاجِحُ هُوَ أَنَّ عَدَدَ الْفُقَرَاءِ قد ازدادَ.

فِي ١ : ٩، وَفِي ٤ : ٦ مِنَ الرِّسَالَةِ، يَدْعُو يَعْقُوبُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ "الْمُتَوَاضِعِينَ" أَوْ "الْمُتَوَاضِعِينَ"، وَهُمَا تَرْجَمَتَانِ لِلْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ تَابِيئُوس [ταπεινός]، الَّتِي تَعْنِي "ذَوِي الْمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْوَضِيعَةِ". وَفِي ٢ : ٢، ٣، ٥، ٦، يَدْعُوهُمْ أَيْضًا "الْفُقَرَاءَ"، أَوْ بُتُوخُوس [πτωχός]. يَعْني هَذَا الْمِصْطَلَحُ "الْمَحْرُومِينَ اقْتِصَادِيًّا". كَمَا يُشِيرُ فِي ١ : ٢٧ إِلَى "الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ". وَكَثِيرًا مَا يُشِيرُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِلَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ بِاعْتِبَارِهِمْ فِتْنَةً ضَعِيفَةً وَمُعَرَّضَةً بِشَكْلِ خَاصٍّ لِلْفَقْرِ وَإِسَاءَةِ الْمُعَامَلَةِ. وَيُشِيرُ يَعْقُوبُ فِي ٢ : ٢ إِلَى أَنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءِ كَانُوا يَرْتَدُّونَ "لِيَأْسًا وَسَخًا". وَبِحَسَبِ ٢ : ١٥، فَإِنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْأَقْلِّ كَانُوا مَحْرُومِينَ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُمْ كَانُوا "عُرْيَانِينَ وَمُعْتَازِينَ لِلْقُوتِ الْيَوْمِيِّ".

يَسْلُطُ يَعْقُوبُ الْكَثِيرَ مِنَ الضَّوْعِ عَلَى الْفُقَرَاءِ. وَيَسْهَلُ أَنْ نَخْتَصِرَ الطَّرِيقَ إِلَى فَهْمِ مَا يُحَاوِلُ يَعْقُوبُ أَنْ يَقُولَهُ لَنَا بِافْتِرَاضٍ أَنَّهُ كانَ يَقْصِدُ الْفُقَرَاءَ أَوْ الْمَسَاكِينَ بِالرُّوحِ. وَهُوَ يَقِينًا يَقْصِدُ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مُتَوَاضِعِينَ وَمَسَاكِينَ وَفُقَرَاءَ فِي الرُّوحِ. وَلَكِنَّهُ يُخَاطَبُ احْتِيَاجَاتِ وَظُرُوفِ الْفُقَرَاءِ مَادِيًّا. وَهُوَ كَلَامٌ شَبِيهٌ لِمَا نَرَاهُ فِي طَرَحِ لُوقَا لِلتَّطَوُّيَّاتِ، حَيْثُ يَقُولُ: "طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ". فَمَا يَقْصِدُهُ يَعْقُوبُ هُوَ عَلَى الْأَقْلِّ الْفُقَرَاءَ مَادِيًّا. فَلِمَذَا يَكُونُ هَؤُلَاءِ مَطْوَبِينَ بِشَكْلِ خَاصٍّ؟ إِنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِطَبِيعَةِ مَلَكُوتِ اللَّهِ. فَالْمَلَكُوتُ يَهْتَمُّ فِي مَجْمَلِهِ بِرَفْعِ الضُّعْفَاءِ وَوَضْعِ الْأَقْوِيَاءِ. يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْمَلَ هَذَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ. فَيُمْكِنُكَ أَنْ تَتَوَاضَعَ إِنْ كُنْتَ غَنِيًّا، وَإِنْ كُنْتَ قَوِيًّا، وَإِنْ كُنْتَ ذَا نَفُودٍ. فَالْهَدَفُ الَّذِي يُرِيدُ يَعْقُوبُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ هُوَ زَرعُ شُعُورِ الْتَوَاضِعِ، وَالْفَقْرِ، أَيْ أَنْ تَكُونَ مَسْكِينًا بِالرُّوحِ. لَكِنْ كانَ لَدَيْهِ أَيْضًا الْكَثِيرُ لِيَقُولَهُ عَنِ الَّذِينَ هُمْ فُقَرَاءُ فَعَلِيًّا، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ كُنُوزَكُمْ فِي السَّمَاءِ، وَمَلَكُوتَكُمْ

فِي السَّمَاءِ، وَمُكَافَأَتِكُمْ وَمَوَارِدُكُمْ سَمَاوِيَّةٌ فِي طَبِيعَتِهَا. وَهَكَذَا، سِيحَدِثُ انْقِلَابٌ
أُخْرَوِيٌّ عَظِيمٌ، سَيَجْعَلُ الضُّعْفَاءَ أَقْوِيَاءَ - فَسَيَجْمَعُ اللهُ الْبَقِيَّةَ، وَسَيَجْمَعُ الْمَرْضَى،
وَالْفُقَرَاءَ وَيَرْفَعُهُمْ فِي مَلَكُوتِهِ - وَسِيُضِعُ قُوَّةَ الْمُسْتَكْبِرِينَ.

— د. توماس كين

ذَكَرَ يَعْقُوبُ بَعْضَ النَّحْدِيَّاتِ الْمُحَدَّدَةِ الَّتِي تُوَجِّهُهُ الْمُتَوَاضِعِينَ وَالْفُقَرَاءَ فِي الْكَنِيسَةِ. عَلَى
سَبِيلِ الْمَثَالِ، فِي ١ : ٩ أَشَارَ إِلَى أَنَّ بَعْضَهُمْ أَغْوُوا بِأَنْ يُحَقِّرُوا مِنْ ذَوَاتِهِمْ، فَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ "الْأَفْتِحَارِ
بَارْتِفَاعِهِمْ" بِصِفَتِهِمْ شَعْبًا مُخْتَارًا مِنْ اللهِ لِأَجْلِ مَجْدِ الْخَلَاصِ الْأَبَدِيِّ. وَبِحَسَبِ ٣ : ٩، يُرَى أَنَّ
ظُرُوفَهُمْ كَثِيرًا مَا أَغْوَتْهُمْ أَنْ يَلْعَنُوا النَّاسَ، بَيْنَمَا هُمْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَبَارِكُونَ اللهُ وَيَكْرَمُونَهُ. وَفِي ٣ : ١٤،
يُحَدِّثُ يَعْقُوبُ مِنْ أَنَّ الْبَعْضَ أَغْوُوا بِأَنْ "يَكُونُوا مَشَاعِرُ غَيْرَةٍ مُرَّةً" تَجَاهَ الْآخَرِينَ، وَأَنَّ يُبْتَلَعُوا مِنْ
"التَّحْرِبِ". وَنَتِيجَةً لِهَذَا، يَتَاوَلُ يَعْقُوبُ فِي ٤ : ١ تَجْرِبَةَ الدُّخُولِ فِي "الْحُرُوبِ وَالْخُصُومَاتِ" دَاخِلَ
الْكَنِيسَةِ. وَفِي ٥ : ٧، يَحْتُ يَعْقُوبُ الْفُقَرَاءَ عَلَى تَجَنُّبِ عَدَمِ التَّأْنِي بِدَعْوَتِهِمْ لِانْتِظَارِ مَجِيءِ الرَّبِّ
بِتَأَنَّ.

وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، وَاجِهَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَثْرِيَاءَ تَجَارِبًا أَيْضًا. فَبِحَسَبِ سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ ٢ إِلَى
٦، كَانَ لَدَى الْبَعْضِ فِي الْكَنِيسَةِ الْأُولَى فِي أُورُشَلِيمَ مَا يَكْفِي مِنْ ثَرَوَةٍ لِلْإِهْتِمَامِ بِالْفُقَرَاءِ مِنْ إِخْوَتِهِمْ
وَأَخَوَاتِهِمْ فِي الْمَسِيحِ. وَوَاضِحٌ أَنَّهُ بَرُّعٌ تَشَتَّتِ الْمُؤْمِنِينَ نَتِيجَةَ الْأَضْطِهَادِ، كَانَ لَا يَزَالُ كَثِيرُونَ فِي
الْكَنِيسَةِ فِي وَضْعٍ مَادِّيٍّ جَيِّدٍ.

وَصَفَّ يَعْقُوبُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَثْرِيَاءَ بِطُرُقٍ عِدَّةٍ. فَفِي ١ : ١٠، و ٢ : ٦، و ٥ : ١، يُشِيرُ
إِلَيْهِمْ يَعْقُوبُ بِبَسَاطَةِ بِالتَّعْبِيرِ "الْعَنِي" أَوْ "الْأَغْنِيَاءِ"، وَهِيَ تَرْجَمَةُ لِلْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ بُلُوسْيُوسِ
[πλούσιος]. كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مُصْطَلَحًا شَائِعًا الْإِسْتِخْدَامِ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا فِي الْمَجْتَمَعِ.
وَبِحَسَبِ ٢ : ٦، كَانَتْ الْمَكَانَةُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ لِهَؤُلَاءِ بَارِزَةً بِمَا يَكْفِي حَتَّى أَنَّهُمْ كَثِيرًا مَا كَانُوا يَجْرُونَ
الْآخَرِينَ إِلَى الْمَحَاكِمِ. وَيُخْبِرُنَا ٤ : ١٣ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَافِرُونَ لِلِاتِّجَارِ وَالرِّيحِ. وَيُشِيرُ ٥ : ٢-٣ إِلَى أَنَّهُمْ
كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِثِيَابِهِمْ وَذَهَبِهِمْ وَفِضَّتِهِمْ. وَفِي ٥ : ٥، يُمَكِّنُ وَصْفُ بَعْضِهِمْ عَلَى الْأَقْلِّ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَعِيشُونَ فِي حَالَةٍ "تَرْفِهِ وَتَنَعُّمٍ".

عَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّ لِلْعَنَى وَالنَّرَاءِ تَحْدِيَاتِهِمَا. فَبِحَسَبِ ١ : ١٠، كَانَ الْأَغْنِيَاءُ يَغْوُونَ بِالْأَفْتِحَارِ
بِأَنْفُسِهِمْ بِنِسْيَانِ النَّوَاضِعِ الَّتِي تَسَيِّدُ عَلَيْهِمْ كَخَطَاةٍ تَائِبِينَ. وَيُخْبِرُنَا يَعْقُوبُ فِي ١ : ٢٧ أَنَّ ثَرَوَتَهُمْ
أَغْوَتْهُمْ بِأَنْ "يَتَدَنَّسُوا مِنَ الْعَالَمِ". وَيُشِيرُ ٢ : ٧ إِلَى أَنَّهُمْ أَغْوُوا بِأَنْ يُجَدُّوا بِتَقْدِيمِهِمْ شَهَادَةَ زُورٍ فِي

المَحْكَمَةِ. وَفِي ٢: ١٦، يَقُولَ يَعْقُوبُ إِنَّهُمْ كَانُوا يَمِيلُونَ لَعَدَمِ فَعَلِ شَيْءٍ لِلْفُقَرَاءِ. وَبِحَسَبِ ٣: ٩، اشترك هؤلاء مع الفقراء في لعن الناس بينما كانوا يَنْظَاهِرُونَ بِأَنَّهُمْ يَبَارِكُونَ اللَّهَ. وَمِنْ ٣: ١٤، نَعْرِفُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكُونُونَ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْوَاعَهُمُ الْخَاصَّةَ مِنَ "الْغَيْرَةِ الْمُرَّةِ" وَ"التَّحْزِبِ". وَبِحَسَبِ ١: ٤، تَوَرَّطُوا فِي الْحُرُوبِ وَالْخُصُومَاتِ. وَفِي ٤: ١٣-١٦، يُخْبِرُنَا يَعْقُوبُ بِأَنَّهُمْ أَغْوُوا بِأَنْ يَسْلُكُوا كَمَا لَوْ كَانُوا مُسْتَقْلِينَ عَنِ اللَّهِ. وَيَذَكِّرُ ٥: ٣ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْنُزُونَ.

يتضح إذن أن المؤمنين الأغنياء والفقراء من قراء رسالة يعقوب على حد سواء كانوا يواجهون تحديات عديده. وكانت كلنا المجموعتين بحاجة للحكمة التي يقدمها يعقوب في رسالته. والآن، بعد أن رأينا كيف ينبع اهتمام يعقوب بالحكمة التأملية من الاحتياج الذي خلقته التجارب التي واجهها قراء رسالته، علينا أن ننتقل إلى موضوع آخر وهو: كيف قدم يعقوب الإرشاد بشأن تلك التجارب.

الإرشاد

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْهَمَ بَبَسَاطَةٍ أَبْعَاداً كَثِيرَةً لَلْأَهْوَاتِ الْمَسِيحِيَّةِ مِنْ خِلَالِ خِبْرَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ كَاتِبَاعِ الْمَسِيحِ. وَلَكِنَّ هُنَاكَ تَعَالِيمَ مَسِيحِيَّةً أُخْرَى لَيْسَتْ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ. فَإِنْ أَرَدْنَا أَنْ نَرَى مَا يَكْمُنُ وَرَاءَ سِتَارِ خِبْرَاتِنَا، مِنْ أَجْلِ إِدْرَاكِ أَعْمَقِ لِمَقَاصِدِ اللَّهِ الْمَسْتَتْرَةِ، فَإِنَّا نَحْتَاجُ لِلْإِرْشَادِ. لِذَلِكَ قَدَّمَ يَعْقُوبُ أَفْكَارًا عَمِيقَةً لِمُسَاعَدَتِنَا فِي اكْتِسَابِ الْحِكْمَةِ التَّأْمَلِيَّةِ-أَيِ الْقُدْرَةِ عَلَى تَمْيِيزِ مَقَاصِدِ اللَّهِ الْكَامِنَةِ وَرَاءَ الصَّرَاعَاتِ وَالتَّجَارِبِ فِي حَيَاتِنَا.

اسْتَمِعْ إِلَى مَا يَقُولُهُ يَعْقُوبُ فِي ١: ٣-٤، وَإِلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَصِفُ يَعْقُوبُ الْأَفْكَارَ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يَعْتَنِقَهَا قُرَاؤُهُ:

عَالِمِينَ أَنْ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ. (يعقوب ١: ٣-٤)

نَمَّةً طُرُقَ كَثِيرَةً لِتَلْخِيصِ الْإِرْشَادِ الَّذِي يُقَدِّمُهُ يَعْقُوبُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ، وَلَكِنْ لِأَهْدَافِنَا فِي هَذَا الدَّرْسِ، نُرِيدُ أَنْ نَلْفِتَ النَّظَرَ إِلَى أَرْبَعَةِ عَنَاصِرٍ. أَوَّلًا، قَالَ يَعْقُوبُ إِنَّ ظُرُوفَهُمْ الصَّعْبَةَ كَانَتْ امْتِحَانًا لِإِيمَانِهِمْ.

الامتحان

حين وَصَفَ يَعْقُوبُ التَّحَدِّيَّاتِ الَّتِي كَانَ قُرَاؤُهُ يُوَجِّهُونَهَا بِالتَّعْبِيرِ "إِمْتِحَانٍ إِيْمَانِكُمْ"، اسْتَعْدَمَ الْكَلِمَةَ الْيُونَانِيَّةَ لُوكِيمُونُ [δοκιμιον]. تُترجم هذه الكلمة "إِمْتِحَانٌ" بمعنى تحديد أو إثبات أصالة شيء ما. وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ، كَانَ يَعْقُوبُ يَقْصِدُ إِثْبَاتَ أَصَالَةِ وَصِحَّةِ إِيْمَانِهِمْ. فِي الْوَاقِعِ، أَوْضَحَ يَعْقُوبُ أَنَّ قَصْدَ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ الْكَثِيرِ مِنَ التَّجَارِبِ الَّتِي كَانَ قُرَاؤُهُ يَقَاسُونَهَا هُوَ تَحْدِيدُ الْحَالَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِقُلُوبِهِمْ. وَقَدْ أَكَّدَ امْتِحَانَهُمْ أَصَالَةَ إِيْمَانِهِمْ مِنْ عَدَمِهَا. لَمْ يَكُنْ هَذَا الْمَنْظُورَ عَنْ قَصْدِ اللَّهِ مِنَ التَّجَارِبِ أَمْرًا جَدِيدًا بِالنِّسْبَةِ لِيَعْقُوبِ، بَلْ ظَهَرَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ فِي كِلَا الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ.

فَمَثَلًا، قَالَ مُوسَى فِي سَفَرِ التَّنْبِيَةِ ٨: ٢ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ:

وَتَذَكَّرْ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْفَقْرِ، لِكَيْ يُدَلِّكَ وَيَجْرِبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ: أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لَا؟ (التَّنْبِيَةُ ٨: ٢)

ويتضح من بَيِّنَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنَّ اللَّهَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ قُلُوبَ كُلِّ الْبَشَرِ. وَلَكِنْ يُوَضِّحُ هَذَا النَّصُّ وَنُصُوصَ أُخْرَى شَبِيهَةً الْحَقِّ الْكِتَابِيِّ بِأَنَّهُ فِي تَقَاعُلِ اللَّهِ مَعَ شَعْبِهِ فِي التَّارِيخِ، كَثِيرًا مَا يَسْتَعْدِمُ الصُّعُوبَاتِ لِاخْتِبَارِ مَا فِي قُلُوبِنَا أَوْ لِإِظْهَارِهِ. وَفِي تَقْدِيمِ يَعْقُوبِ الْإِرْشَادَ، لَمْ يُوكِّدْ فَقَطْ عَلَى أَنَّ التَّحَدِّيَّاتِ الَّتِي كَانَ قُرَاؤُهُ يُوَجِّهُونَهَا كَانَتْ إِمْتِحَانًا لِإِيْمَانِهِمْ، بَلْ أَشَارَ أَيْضًا إِلَى أَنَّ تَجَارِبَهُمْ كَانَتْ تَهْدَفُ لِإِنْشَاءِ الصَّبْرِ فِيهِمْ.

الصبر

يَكْتُبُ يَعْقُوبُ بَأَنَّ الْإِمْتِحَانَ يُنْشِئُ الصَّبْرَ، مُسْتَعْدِمًا الْكَلِمَةَ الْيُونَانِيَّةَ هُوبُومُونِيَه [ὕπομονή]. تُشِيرُ الْكَلِمَةُ "صَبْرٌ"، هُوبُومُونِيَه، إِلَى التَّحْمَلِ تَحْتَ ثِقَلِ الضَّيِّقَاتِ. وَبِهَذَا نَرَى يَعْقُوبَ يُوَضِّحُ أَنَّ التَّجَارِبَ أَثْبَتَتْ صِدْقَ الْإِيْمَانِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَمْكِينِ شَعْبِ اللَّهِ بِأَنْ يَحْتَمِلُوا وَيَثَابِرُوا فِي تَكْرِيسِ أَمِينٍ لِلْمَسِيحِ.

بِشَكْلِ عَامٍّ، يَتَأَلَّفُ تَعْلِيمُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ عَنِ الصَّبْرِ الْمَسِيحِيِّ مِنْ شِقَّتَيْنِ. فَمِنْ نَاحِيَةِ الصَّبْرِ

هو هِبَةٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ. وَتَمَّةٌ مَقَاطِعٌ، مِثْلَ رِسَالَةِ رُومِيَّةَ ٦: ١-١٤، تُعَلِّمُ بَأَنَّ أَتْبَاعَ الْمَسِيحِ قَادِرُونَ عَلَى الْإِحْتِمَالِ أَوْ الصَّبْرِ وَالْمُتَابَرَةِ فِي إِيْمَانِهِمْ بِسَبَبِ أَنْ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ إِلَى حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ، يُقَوِّنَا لِنَسْلُكِ فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ وَالطَّاعَةِ الْأَمِينَةِ. وَهَكَذَا، فَإِنَّهُ بَرَعَمَ كَوْنِ الصَّبْرِ يَتَطَلَّبُ جُهْدًا بَشَرِيًّا، لَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ نَصْبِرُ وَنَتَابِرَ فَقَطُّ بِالْعَمَلِ الْمُسْتَمِرِّ لِنِعْمَةِ اللَّهِ فِيْنَا. وَلَكِنْ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، يُوضِّحُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ أَيْضًا أَنَّ الصَّبْرَ أَوْ الْمَثَابَرَةَ مَطْلَبٌ ضَرُورِيٌّ لِلْخَلَاصِ الْأَبَدِيِّ. وَبِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، مِنْ أَمْنُوا بِالْمَسِيحِ لِلْخَلَاصِ يَنْبَغِي بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَنْبُتُوا وَيَتَابَرُوا فِي إِيْمَانِهِمْ.

اسْتَمِعْ إِلَى كَلِمَاتِ بُولُسِ فِي رِسَالَةِ كُولُوسِي ١: ٢١-٢٣:

قَدْ صَالَحَكُمُ [اللَّهُ] الْآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ [أَي جِسْمِ بَشَرِيَّةِ الْمَسِيحِ] بِالْمَوْتِ،
لِيُخَضِّرَكُمُ قَدَيْسِينَ ... أَمَامَهُ، إِنْ تَبْتُمُ عَلَى الْإِيْمَانِ، مُتَأَسِّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرِ
مُنْتَقِلِينَ عَنِ رَجَاءِ الْإِنْجِيلِ. (كُولُوسِي ١: ٢١-٢٣)

يُؤَكِّدُ بُولُسُ هُنَا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُولُوسِي قَدْ تَصَالَحُوا مَعَ اللَّهِ. وَلَكِنْ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَتَقَنَّنُوا مِنْ صِحَّةِ الْأَمْرِ فَقَطُّ إِنْ تَبْتُوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ. لَمْ يَكُنْ مُتَطَلَّبُ الثَّبَاتِ هَذَا يَتَعَارَضُ مَعَ رِسَالَةِ الْخَلَاصِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، بَلْ كَانَ هُوَ رَجَاءُ الْإِنْجِيلِ. فِي الْإِزْشَادِ الَّذِي يُقَدِّمُهُ يَعْقُوبُ، لَمْ يَنَاقِشْ فَقَطُّ مَوْضُوعَ امْتِحَانِ الْإِيْمَانِ الَّذِي يُنْشِئُ صَبْرًا. بَلْ يَسْتَكْمِلُ حَدِيثَهُ بِالْكَلامِ عَنِ الْكَمَالِ الَّذِي يَنْتُجُ عَنِ الصَّبْرِ.

الكمال

تَتَعَلَّقُ رِسَالَةُ يَعْقُوبَ كَكُلِّ مَوْضُوعِ النُّضْجِ أَوْ الْكَمَالِ الْمَسِيحِيِّ. يَأْتِي الْبَعْضُ إِلَى الرِسَالَةِ ظَانِينَ بِأَنَّهَا تَدُورُ حَوْلَ النَّامُوسِيَّةِ، أَيْ أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِرِمَتِهَا بِقَوَانِينِ وَتَوْصِيَّاتٍ بِشَأْنِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْمَلَهُ. وَلَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ رِسَالَةٌ تَهْدَفُ لِمُسَاعَدَةِ الْمُؤْمِنِ عَلَى النُّمُوِّ كَمُؤْمِنٍ، وَخَاصَّةً كَمُؤْمِنٍ يَحْيَا فِي ضِجَّةِ الظُّرُوفِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الصَّعْبَةِ الَّتِي نَحْيَا فِيهَا. يُمْكِنُ لِلْكَنِيْسَةِ أَنْ تَكُونَ مَكَانًا يَصْعَبُ التَّوَاجُدُ فِيهِ، وَيَعْقُوبُ يُدْرِكُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ. مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلصُّمُودِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَفِي

الْكَنِيسَةِ، وكي تزدهر في هذا العالم وفي الكَنِيسَةِ، هُوَ النُّضُوجُ. تَحْتَاجُ أَنْ تَصِيرَ
تَامًا وَكَامِلًا. وَيُخْبِرُنَا يَعْقُوبُ عَنِ كَيْفِيَّةِ تَحْقِيقِ هَذَا، وَكَيْفِيَّةِ بُلُوغِ النُّضُوجِ،
مستعدين لِمُوَاجَهَةِ كُلِّ مَا يُحَاوِلُ الْعَالَمُ وَإِبْلِيسُ وَالْجَسَدُ أَنْ يَلْقُوا بِهِ فِي طَرِيقِنَا.
والمدهش في تَعْلِيمِ رِسَالَةِ يَعْقُوبُ هُوَ أَنَّهَا تُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا بِيَدِ الْإِلَهِيِّ. الْأَلَمُ هُوَ
البوتقة، وَهُوَ الْإِطَارُ، وَهُوَ النَّادِي الرِّيَاضِيُّ الَّذِي فِيهِ يَحْصُلُ النُّضُوجُ الْمَسِيحِيُّ.
فيه تُرَزَعُ بَذَارُ إِيمَانِكَ فَيَنمو وَيَسْتَعِدُّ لِمَا سَيُوَاجَهُهُ. وَحِينَ تَحْتَمِلُ الْأَلَمَ وَالتَّجَارِبَ
وَالْمَحَنَ، وَتَنجُو مِنْهَا، فَإِنَّ إِيمَانَكَ سَيَزْدَادُ وَيَتَقَوَّى وَيَتَحَضَّرُ لِلتَّجَارِبِ الْآتِيَةِ بِالرُّوحِ
الْقُدْسِ الْعَامِلِ فِي الْكَلِمَةِ، بِوِاسِطَةِ الْمَسِيحِ وَنَامُوسِهِ وَحِكْمَتِهِ.

— د. توماس كين

اسْتَمِعْ ثَانِيَةً إِلَى مَا كَتَبَهُ يَعْقُوبُ فِي ١ : ٣-٤ :

عَالِمِينَ أَنْ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ
تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ. (يعقوب ١ : ٣-٤)

لِأَنَّ التَّجَارِبَ وَالصَّبْرَ تُنْشِئُ نُضُوجًا وَكَمَالًا، قَالَ يَعْقُوبُ لِقُرَائِهِ: "ادْعُوا الصَّبْرَ يَعْملُ عَمَلُهُ
الْكَامِلَ". فَالصَّبْرُ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ تَامِينَ وَكَامِلِينَ، وَغَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ.
وَيَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ حَذِرِينَ هُنَا. فَيَعْقُوبُ لَمْ يَقْصِدِ الْكَمَالَ أَوْ عَدَمَ النِّقْصِ فِي شَيْءٍ بِمَعْنَى أَنَّهُ
يُمْكِنُنَا الْوُصُولَ إِلَى الْكَمَالِ الْأَخْلَاقِيِّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ. فَحَدُّ نَعْرِفُ مِنْ مَقَاطِعِ مِثْلِ رِسَالَةِ ١ يُوْحَنَّا ١ :
٨ الْآتِي:

إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نَضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا. (١ يوحنا ١ : ٨)

وَلَكِنْ يَعْقُوبُ كَانَ يَقْصِدُ أَنْ نَسْتَمِرَّ فِي نُمُوتِنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، حَتَّى حِينَ يَأْتِي وَقْتُ الْقَضَاءِ
بِمَجِيءِ الْمَسِيحِ، لَنْ نَكُونَ حَيَاتِنَا نَاقِصَةً لِشَيْءٍ يَجْعَلُنَا غَيْرَ مُؤَهَّلِينَ.
بَعْدَ تَقْدِيمِ يَعْقُوبِ الْإِزْشَادَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِمْتِحَانِ وَالصَّبْرِ وَالْكَامِلِ، يُشِيرُ فِي نَهَائِهِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ
إِلَى أَنَّهُ سَتَكُونُ هُنَاكَ مُكَافَأَةٌ عَظِيمَةٌ.

المكافأة

يَذْكُرُ يَعْقُوبُ هَذِهِ الْمُكَافَأَةَ فِي ١ : ١٢، حَيْثُ يَقُولُ:

طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَى يَبَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. (يعقوب ١ : ١٢)

كَمَا يُوَضِّحُ يَعْقُوبُ هُنَا، فَإِنَّ كَلَّ الَّذِينَ يَحْتَمِلُونَ التَّجَارِبَ سَيَتَزَكُونَ. وَهَوْلَاءِ سَيَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ، إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ الْمَجِيدِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. فِي جَمْعِ يَعْقُوبُ لِكُلِّ هَذِهِ الْأَبْعَادِ مَعًا، قَدَّمَ لِقْرَائِهِ حِكْمَةً تَأْمَلِيَّةً عَمِيقَةً. فَقَدْ قَدَّمَ لَهُمُ الْإِرْشَادَ لِفَهْمِ التَّجَارِبِ الَّتِي كَانُوا يُوَاجِهُونَهَا. وَفِي الْوَاقِعِ، كُلُّ تَجْرِبَةٍ هِيَ هِبَةٌ مِنْ اللَّهِ تَهْدِفُ لِخَيْرِهِمُ الْأَبَدِيِّ.

أَحَدَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ يَعْقُوبُ عَنْهَا مِنْ بَدَايَةِ الرَّسَالَةِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ يَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ الرَّسَالَةِ، هُوَ أَهْمِيَّةُ الْإِحْتِمَالِ فِي الْأَلَمِ. وَهُوَ يَقُولُ إِنَّ هَذَا يَقُودُ إِلَى النُّضْجِ فِي الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ. فِي بَدَايَةِ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ يَقُولُ: "احْسِبُوهُ كُلَّ فَرْحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقْعُونَ فِي تَجَارِبٍ مُتَوَعَّعَةٍ"، ثُمَّ يَتَكَلَّمُ عَنِ السَّبَبِ فَيَقُولُ: "عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يَنْشِئُ صَبْرًا". ثُمَّ يَكْمِلُ حَدِيثَهُ فَيَقُولُ: "وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرِ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ". وَهَكَذَا، قَدْ نَظَنُّ أَنْ الْأَلَمَ عِلْمَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ مَعَنَا، وَلَكِنَّ يَعْقُوبَ يَعْتَبِرُ الْأَلَمَ عِلْمَةً عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَيَعْمَلُ، لَيْسَ فَقَطْ بِالرُّعْمِ مِنَ الْأَلَمِ، بَلْ مِنْ خِلَالِ الْأَلَمِ، كَيْ يَجْعَلَنَا كَمَا يُرِيدُ. وَفِي هَذِهِ الظُّرُوفِ نَنْضُجُ حَقًّا. وَبَعْدَ ذَلِكَ، يَقُولُ يَعْقُوبُ فِي الْعَدَدِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ: "ذَلِكَ الشَّخْصُ يَبَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ". وَبِهَذَا، يَقْدَمُ لَنَا نَمُودَجًا مُخْتَلِفًا لِلتَّفَكِيرِ فِي الْأَلَمِ. فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَنْبَغِي تَجْنِبَهُ، كَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي مَلَا حَقَّتَهُ. وَلَكِنْ فِي ثِقَافَتِنَا السَّائِدَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ نَرَى النَّجَاحَ فِي تَجَنُّبِ الْأَلَمِ. وَلَكِنَّ يَعْقُوبَ يَصِفُ الْأَلَمَ هُنَا بِاعْتِبَارِهِ فُرْصَةً لِلنُّمُو. إِنَّهُ بَوْتَقَةٌ لِأَجْلِ تَحْقِيقِ النُّضْجِ الْمَسِيحِيِّ.

— ق. د. ثرمان وليامز

تناول تركيز يَعْقُوبَ عَلَى الْحِكْمَةِ التَّأْمِيلِيَّةِ اِحْتِيَاجَ قُرَاءِ رِسَالَتِهِ فِي ظُرُوفِهِمُ الصَّعْبَةِ. كَمَا قَدَّمَ لَهُمْ هَذَا التَّرْكِيزَ الْإِزْشَادَ الْإِلْزَامَ. وَلِنُنْتَقِلَ الْآنَ لِلْحَدِيثِ عَنِ ضَرُورَةِ الْإِيمَانِ فِي طَرِيقِ الْحِكْمَةِ التَّأْمِيلِيَّةِ.

الإيمان

عندما نُفَكِّرُ بِالْأَمْرِ، سَتَكْتَشِفُ أَنَّ النِّصَاحَ الَّتِي قَدَّمَهَا يَعْقُوبُ لِقُرَائِهِ حَوْلَ تَجَارِبِهِمْ كَانَتْ تَعَالِيمًا مَسِيحِيَّةً عَادِيَةً. وَلَكِنَّا نَعْلَمُ جَمِيعًا أَنَّهُ عِنْدَمَا تَأْتِي الضِّيقاتُ إِلَى حَيَاتِنَا، فَإِنَّا نُسْحَقُ تَحْتَهَا بِحَيْثُ نَجِدُ صُعُوبَةً فِي التَّمَسُّكِ حَتَّى بِأَبْسَطِ الْمُعْتَقَدَاتِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ. وَوَاضِحٌ أَنَّ يَعْقُوبَ خَافَ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ حَالُ قُرَائِهِ. وَلِذَلِكَ، أَشَارَ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ إِلَى أَنَّ قُبُولَ النِّصَاحِ الَّتِي قَدَّمَهَا لَهُمْ لِتَوْهٍ، يَتَطَلَّبُ مِنْهُمْ الْإِتِّفَاتَ بِإِيمَانٍ إِلَى اللَّهِ.

نَقْرَأُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ فِي رِسَالَةِ يَعْقُوبِ ١ : ٥ :

وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعَوِّزُهُ حِكْمَةٌ، فَلْيَتَطَلَّبْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ. (يعقوب ١ : ٥)

عَلِمَ يَعْقُوبُ أَنَّنَا إِنْ أَرَدْنَا حِكْمَةً لِفَهْمِ مَقَاصِدِ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ التَّجَارِبِ، الَّتِي عَادَةً مَا تَكُونُ مُسْتَتْرَةً، فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَطْلُبَهَا مِنَ اللَّهِ. وَلَكِنْ بَعْدَ هَذَا، نَرَى يَعْقُوبَ فِي ١ : ٦-٨ يَرِيبُ بَيْنَ الصَّلَاةِ لَطَلْبِ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ، حَيْثُ يَقُولُ:

وَلَكِنْ لِيَطْلُبَ بِإِيمَانٍ غَيْرِ مُرْتَابٍ الْبَتَّةَ، لِأَنَّ الْمُرْتَابَ ... فَلَا يَظُنُّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ أَنَّهُ يَبَالُ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ. رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلِّقٌ فِي جَمِيعِ طَرَفِهِ. (يعقوب ١ : ٦-٨)

فَكَمَا نَرَى هُنَا، أَلَحَّ يَعْقُوبُ عَلَى أَنَّ تَقَدَّمَ الصَّلَوَاتِ لَطَلْبِ الْحِكْمَةِ بِإِيمَانٍ. وَإِلَّا فَإِنَّا نَكُونُ أَنْسَاءَ ذَوِي رَأْيَيْنِ.

مِنَ الْمُؤَسِّفِ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَنِ النِّيَّةِ قَدْ أَسَاءُوا فَهَمَّ تَعْلِيمِ يَعْقُوبِ بِشَأْنِ الطَّلَبِ

بِالإِيمَانِ وَيَأْلا يَكُونُوا ذَوِي رَأْيَيْنِ. فَمَه يَعْتَقِدُونَ أَن يَعْقُوبَ قَدَ أَشَارَ إِلَى ضَرُورَةِ الثَّقَةِ فِي اسْتِجَابَةِ طَلِبَاتِ صَلَاةٍ مُحددة نرفعها. كَثِيرًا مَا يظن أَتْبَاعَ الْمَسِيحِ بَأَنَّا ببساطة إِن كَانَ لَدَيْنَا مَا يَكْفِي مَنَ الإِيمَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْتَجِيبُ صَلَوَاتِنَا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي نَرْغَبُهَا. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَا قَصده يعقوب. فِبالنَّسْبَةِ لَهُ، مَعْنَى الطَّلَبِ بِإِيمَانٍ هُوَ "الأمانةُ تجاهَ اللهِ". وَنَحْنُ نَدْرِكُ ذَلِكَ لِأَنَّ يَعْقُوبَ وَصَفَ نَقِيضَ الطَّلَبِ بِإِيمَانٍ بِأَنَّهُ الإِزْدِوَاجِيَّةُ فِي الرَّأْيِ. وَبِالنَّسْبَةِ لِيَعْقُوبِ، أَن تَكُونَ ذَوِي رَأْيَيْنِ هُوَ بِمِثَابَةِ تَمَرُّدٍ حَقِيقِي عَلَى اللَّهِ.

اسْتَمِعْ إِلَى مَا يَقُولُهُ يَعْقُوبُ عَن ذَوِي الرَّأْيَيْنِ فِي ٤ : ٨-٩ :

نَقُؤا أَيديكُمْ أَيُّها الخُطاةُ، وَطَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ يا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ. اكَتَبُوا وَنُوحُوا وَابْكُوا.
لِيَتَحَوَّلَ ضَحِكُكُمْ إِلَى نَوْحٍ، وَفَرَحُكُمْ إِلَى غَمٍّ. (يعقوب ٤ : ٨-٩)

لأِحْظُ هُنَا أَنَّ ذَوِي الرَّأْيَيْنِ لَيْسُوا قَطُّ هَم مَن يَخْفِقُونَ فِي امْتِلاكِ الثَّقَةِ حِينَ يَصِلُونَ، لَكِنهم خُطاةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَطهروا قُلُوبَهُمْ. إِنَّ عَدَمَ أمانَتِهِمْ أَمْرٌ خَطِيرٌ جَدًّا، حَتَّى أَنْ النُّوحَ وَالاكتئابَ هِما ما يَلِيقُ بهِما.

وهَكَذَا، وَضِمْنَ سِياقِ الرِّسَالَةِ، نَرى أَنَّ يَعْقُوبَ لا يَقْصِدُ شَخْصًا كَانَتْ تَعَوَّرَهُ النُّقَّةُ فِي اسْتِجَابَةِ اللَّهِ لَصَلَاتِهِ، بَلْ قَصِدَ الإِنْكارِ التَّامَّ لِصَلاحِ اللَّهِ. فَوَاضِحٌ أَنَّ بَعْضَ قُرَّاءِ رِسالَةِ يَعْقُوبِ كَانُوا يَلُومُونَ اللَّهَ عَلَى إِخْفَاقَاتِهِمْ. وَكَانَ مَنطِقُهُمْ هُوَ أَنَّ اللَّهَ قَدَ أَرْسَلَ التَّجَارِبَ الَّتِي تَعْرِضُوا لَهَا، وَلِذا فَلَا بُدَّ أَنَّ اللَّهَ شَرِيرٌ لِأَنَّهُ كَانَ يَجْرِبُهُم لِلوُفُوعِ فِي الخَطِيئَةِ. كانَ هَذَا النُّوعُ مِنَ التَّمَرُّدِ الفَاضِحِ وَالشَّنِيعِ عَلَى اللَّهِ هُوَ ما أَشَارَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ بِكَوْنِ الإِنْسَانِ "ذِي رَأْيَيْنِ".

اسْتَمِعْ إِلَى ما يَقُولُهُ يَعْقُوبُ فِي ١ : ١٣-١٤، حَيْثُ يَتناولُ سِوَأَ الفَهْمِ الخَطِيرِ هَذَا :

لا يَقُلْ أَحَدٌ إِذا جُرِبَ: «إِنِّي أَجْرَبُ مَن قَبِلَ اللَّهَ»، لِأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجْرَبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُوَ لا يُجْرَبُ أَحَدًا. وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ يُجْرَبُ إِذا انجَدَبَ وَانخدَعَ مَن شَهَوْتِهِ. (يعقوب ١ : ١٣-١٤)

مَن الجَدِيرُ بالأهمية أَنْ نُلأِحِظَ أَنَّ الكَلِمَةَ اليُونانِيَّةَ المُتَرَجِّمَةَ "جُرِبَ" هِيَ الفِعْلُ بِبِيرُورِ [πειράζω]، وَهِيَ الكَلِمَةُ المُتَرَجِّمَةُ "تَجَارِبَ" فِي الأَصْحاحِ ١ و ٢. وَلَكِنْ يَعْقُوبُ أَصْرَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ

... نفسه لا يُجربُ أحدًا. تعكس هذه التَّرْجَمَةُ على نحو صحيح الاستخدام الكثيف للضمير اليُونَانِيّ *أوثوس* [αὐτός]، أي نَفْسُهُ. فالنص لا يقول ببساطة إن الله "لا يُجربُ" أو يمتحن "أحدًا"، لكنه يقول حرفيًّا إن "الله نفسه لا يُجربُ أحدًا".

فَكَمَا نَتَلَمَّ مِنَ الْأَصْحَاحَاتِ الْخَمْسَةِ الْأُولَى مِنْ سِفْرِ أَيُّوبَ، اللهُ مُمَسِّكٌ بِرِمَامِ كُلِّ الْمَحِنِّ وَالْإِمْتِحَانَاتِ وَالْإِغْوَاءَاتِ. وَلَكِنْ فِي دَرَامَا الْبَلَاطِ السَّمَاوِيِّ، يَتَضَحُّ أَنَّ قَصْدَ اللهِ مِنْ وَرَاءِ مَحْنَةِ أَيُّوبَ هُوَ خَيْرٌ أَيُّوبَ، لَا ضَرَرَهُ. فَالشَّيْطَانُ، وَلَيْسَ اللهُ، هُوَ مَنْ اسْتُخْدِمَ مَحْنَةَ أَيُّوبَ كِي يَغْوِيَهُ أَنْ يَخْطِئَ. وَهَكَذَا، فَإِنَّ الصَّلَاةَ بِالْإِيمَانِ طَلَبًا لِلْحِكْمَةِ، وَعَدَمُ كَوْنِ الْإِنْسَانِ ذِي رَأْيَيْنِ، يَعْنِي التَّكْيِيدَ عَلَى أَحَدِ التَّعَالِيمِ الْكِتَابِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ: صَلَاحِ اللهِ. عَلَيْنَا أَلَّا نَشْكُ فِي صَلَاحِ اللهِ بَيْنَمَا نَطْلُبُ مِنْهُ الْحِكْمَةَ فِي الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ. وَإِلَّا لَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا مَا يَدْعُونَا أَنْ نُوْمِنَ بِأَنَّ اللهُ سَيُعْطِينَا الْحِكْمَةَ. يُعْبَرُ يَعْقُوبُ عَنْ هَذَا فِي ١٧ : ١:

كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهَبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الْأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلَا ظِلُّ دَوْرَانٍ. (يعقوب ١ : ١٧)

اللهُ هُوَ "أَبُو الْأَنْوَارِ". إِنَّهُ لَا يُعْطِي سِوَى الْعَطَايَا "الصَّالِحَةِ" وَالْمَوَاهِبِ "التَّامَّةِ". وَهَكَذَا، فَإِنَّ قَصْدَهُ مِنْ وَرَاءِ تَجَارِينَا دَائِمًا صَالِحٌ وَتَامٌ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ مَوْقِفُنَا الْإِيمَانِي الرَّاسِخَ بَيْنَمَا نَتَّبِعُ طَرِيقَ الْحِكْمَةِ التَّامُّلِيَّةِ.

فِي دِرَاسَتِنَا لِطَرِيقِي الْحِكْمَةِ الْمَوْجُودِينَ فِي رِسَالَةِ يَعْقُوبَ، نَتَاوَلْنَا تَرْكِيْزَ يَعْقُوبَ عَلَى الْحِكْمَةِ التَّامُّلِيَّةِ. وَهَكَذَا نَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ نَنْقَلَ إِلَى مَوْضُوعِنَا الرَّئِيسِيِّ الثَّانِي: الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةِ. مَاذَا تَقُولُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ عَنْ وَضْعِ الْحِكْمَةِ فِي حِيْزِ الْمُمَارَسَةِ الْعَمَلِيَّةِ؟

الحكمة العملية

من المؤكد أننا تقابلنا جميعًا في وقت ما مع أشخاص عندهم معرفة عظيمة. وهم يُبهرُون الْجَمِيعَ بِمِقْدَارِ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةٍ لَيْسَتْ عِنْدَ الْآخَرِينَ. وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، لَا يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصُ أَنْفُسَهُمْ، الْكَثِيرَ عَنِ الْحَيَاةِ الْعَمَلِيَّةِ. فَلَا يَدْرِكُونَ كَيْفَ يَطَبِّقُوا أَفْكَارَهُمُ الْعَمِيقَةَ فِي صُورَةِ أَعْمَالٍ وَمَوَاقِفٍ سَلِيمَةٍ. تَتَاوَلُ يَعْقُوبُ هَذِهِ الْمَشْكِلَةَ بِطُرُقٍ عَدِيدَةٍ فِي رِسَالَتِهِ. وَكَمَا رَأَيْنَا، بَدَأَ يَعْقُوبُ

رِسَالَتُهُ بِالتَّشْدِيدِ عَلَى الْحِكْمَةِ التَّامُّلِيَّةِ. فَهُوَ أَدْرَكَ أَهْمِيَّةَ أَنْ يَفْهَمَ الْإِنْسَانَ مَقَاصِدَ اللَّهِ الْمَسْتَتِرَةَ مِنْ وَرَاءِ التَّجَارِبِ الَّتِي تَنْعَرِّضُ لَهَا. وَلَكِنَّهُ شَدَّدَ أَيْضًا عَلَى الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ، أَيْ الْقُدْرَةَ عَلَى تَطْبِيقِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ فِي صُورَةِ أَعْمَالٍ وَمَوَاقِفٍ تُسْرَ اللَّهُ.

ولتبسيط الأمر، سنتناول موضوعَ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ بِطُرُقٍ تَوَازِي التناول السابق. فَسَنَنْظُرُ أَوَّلًا إِلَى الْاِحْتِيَاجِ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ. وَثَانِيًا، سَنَرَى كَيْفَ قَدَّمَ يَعْقُوبُ لِقُرَّائِهِ إِشْرَادًا. وَثَالِثًا، سَنَبْحَثُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْمُمَارَسَةِ الْعَمَلِيَّةِ. لِنَنْظُرَ أَوَّلًا إِلَى تَرْكِيزِ يَعْقُوبُ عَلَى اِحْتِيَاجِ قُرَّائِهِ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ.

الاحتياج

كَمَا رَأَيْنَا سَابِقًا، اسْتَعْمَدَ يَعْقُوبُ مُصْطَلَحِي "حِكْمَةً" وَ"حَكِيمًا" فَقَطْ ضِمْنَ سِيَاقَيْنِ. السِّيَاقُ الْأَوَّلُ هُوَ ١: ٢-١٨، حَيْثُ سَلَّطَ يَعْقُوبُ الضَّوْءَ عَلَى الْحِكْمَةِ التَّامُّلِيَّةِ. أَمَّا السِّيَاقُ الثَّانِي فَهُوَ ٣: ١٣-١٨، حَيْثُ شَدَّدَ يَعْقُوبُ عَلَى الْحَاجَةِ لَوْضَعِ الْحِكْمَةِ فِي حَيْزِ التَّطْبِيقِ وَالْمُمَارَسَةِ.

إِنَّ رِسَالَةَ يَعْقُوبُ رِسَالَةٌ عَمَلِيَّةٌ لِلْغَايَةِ، فَالْكَاتِبُ يَرِيدُ حَقًّا أَنْ يَطْبِقَ النَّاسُ مَا يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ أَتَتْهُ مِنْ يَسُوعَ. فَيَسُوعُ نَفْسَهُ عَلَّمَ بِأَمْثَالٍ عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الرَّمْلِ أَوْ الصَّخْرِ، وَكَانَ الْعَامِلُ الْحَاسِمُ هُوَ: "هَلْ تَعْمَلُونَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ؟ هَلْ تَضَعُونَ مَا أَعَلَّمْتُمْ فِي حَيْزِ الْمُمَارَسَةِ الْعَمَلِيَّةِ؟" كَانَ يَسُوعُ يَبْحَثُ عَنْ أَنْاسٍ يَطْبِقُونَ مَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَقَدْ حَدَّرَ يَسُوعُ أَيْضًا مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ قَائِلًا: "فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَأَفْعَلُوهُ، وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ". وَهَكَذَا نَرَى أَنَّ يَسُوعَ كَانَ جَادًّا جِدًّا فِي قَضِيَّةِ تَطْبِيقِ التَّعْلِيمِ، وَلِذَا أَعْتَقَدُ أَنَّ يَعْقُوبَ فَقَطْ كَانَ يَقْتَدِي بِأَخِيهِ يَسُوعَ فِي تَعْلِيمِهِ عَنْ أَهْمِيَّةِ هَذَا الْأَمْرِ. وَرَبِّمًا كَانَ هُنَاكَ سَبَبٌ آخَرَ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَسْتَنْتِجَهُ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ الْأُولَى، وَهُوَ أَنَّ يَعْقُوبَ رُبَّمَا كَانَ قَدْ بَدَأَ يَرَى مَدَى التَّأثيرِ الضَّارِّ عَلَى الشَّهَادَةِ الْمَسِيحِيَّةِ لِعَدَمِ إِظْهَارِ بَعْضِ الْمَسِيحِيِّينَ مِنْ أَصُولِ يَهُودِيَّةٍ فِي كَنِيسَتِهِ لِحَيَاةِ يَسُوعَ. فَقَدْ كَانَتْ لَدَيْهِمْ هَذِهِ الْعَقَائِدُ الْعَظِيمَةُ عَنْ يَسُوعَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَسْلُكُونَ حَقًّا بِمَقْتَضَاهَا. وَرَبِّمًا كَانَ هَذَا يَتَسَبَّبُ فِي انْتِقَادَاتٍ مِنَ الْآخَرِينَ: "أَنْتُمْ لَا تَمَارِسُونَ مَا

تَنَادُونَ بِهِ"، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْلِبَ التَّجْدِيفَ عَلَى الرَّسَالَةِ الْمَسِيحِيَّةِ. فَقَدْ قَالَ
يَسُوعُ نَفْسَهُ: "كُونُوا كَامِلِينَ"، وَيُكَرِّرُ يَعْقُوبُ هَذَا التَّعْلِيمَ. فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ النَّاسَ
التَّعْلِيمَ حَيْزَ التَّطْبِيقِ وَالْعَمَلِ.

— د. بيتر واكر

اسْتَمِعْ إِلَى ٣: ١٣، حَيْثُ يُقَدِّمُ يَعْقُوبُ الْمَبَادِيَّ الْأَسَاسِيَّةَ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ:

مَنْ هُوَ حَكِيمٌ وَعَالِمٌ بَيْنَكُمْ، فَلْيُرِ أَعْمَالَهُ بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ فِي وَدَاعَةِ الْحِكْمَةِ.
(يعقوب ٣: ١٣)

حِينَ نَتَذَكَّرُ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنْ قُرَاءِ رِسَالَةِ يَعْقُوبَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مِنْ أُصُولٍ يَهُودِيَّةٍ، وَلِذَا كَانُوا
عَلَى دَرَايَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الصَّعْبِ فَهَمَّ سَبَبِ ادِّعَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى الْأَقْلِ بِأَنَّهُمْ
"حُكَمَاءٌ وَعَالِمُونَ". لَكِنْ يُصِرُّ يَعْقُوبُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا الْإِدِّعَاءُ حَقِيقِيًّا، فَإِنَّهُمْ سَيُرُونَ أَعْمَالَهُمْ
بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ. وَبِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، كَانَ هَؤُلَاءُ بِحَاجَةٍ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ. فَمِنْ خِلَالِ تَأْثِيرِ تَعْلِيمِ الْعَهْدِ
الْقَدِيمِ، خَاصَّةً سِفْرِ الْأَمْثَالِ، عَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّ الْحِكْمَةَ تَفُوقُ الْأَفْكَارَ اللَّاهُوتِيَّةَ الْعَمِيقَةَ.
فَمَنْ قَبِلُوا بِكُلِّ إِخْلَاصٍ فَهَمًّا مِنْ اللَّهِ سَيَسْلُكُونَ بِتَّصَرُّفٍ حَسَنٍ نَابِعٍ مِنَ الْحِكْمَةِ. وَلَكِنَّ
يَعْقُوبَ أَشَارَ أَيْضًا إِلَى أَنَّ هَذَا التَّصَرُّفَ الْحَسَنَ يَشْتَمِلُ عَلَى "أَعْمَالٍ". وَيَنْتِجُ عَنْهُ مَوَاقِفَ مُعَيَّنَةٍ مِثْلَ
"الوداعة". وَكَمَا سَتَرَى، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ وَالْمَوَاقِفَ السَّلِيمَةَ أَمْرَانِ أُسَاسِيَّانِ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ.
وَلِمَزِيدٍ مِنْ شَرْحِ الْإِحْتِيَاجِ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ، قَابَلَ يَعْقُوبُ مَا بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ
ذَكَرْنَاهُمَا فِي بَدَايَةِ هَذَا الدَّرْسِ. فَأَشَارَ أَوَّلًا إِلَى الْحِكْمَةِ الْأَرْضِيَّةِ. ثُمَّ تَكَلَّمَ عَنِ الْحِكْمَةِ السَّمَاوِيَّةِ.
لِنَنْظُرُ أَوَّلًا إِلَى الْحِكْمَةِ الْأَرْضِيَّةِ.

الحكمة الأرضية

نَجِدُ الْوَصْفَ لِلْحِكْمَةِ الْأَرْضِيَّةِ فِي ٣: ١٤-١٦:

وَلَكِنْ إِنْ كَانَ لَكُمْ غَيْرَةٌ مَرَّةً وَتَحَزَّبْتُمْ فِي قُلُوبِكُمْ، فَلَا تَفْتَخِرُوا وَتَكْذِبُوا عَلَى الْحَقِّ.

لَيْسَتْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ نَازِلَةً مِنْ فَوْقُ، بَلْ هِيَ أَرْضِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ. لِأَنَّهُ حَيْثُ
الْغَيْرَةُ وَالتَّحَرُّبُ، هُنَاكَ التَّشْوِيشُ وَكُلُّ أَمْرٍ رَدِيءٍ. (يعقوب ٣: ١٤-١٦)

كَمَا رَأَيْنَا فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ، كَانَ يَعْقُوبُ مُهْتَمًّا بِشِدَّةٍ بِالْإِضْطِرَابِ الَّذِي كَانَ
حَاصِلًا مَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ الْأَغْنِيَاءِ فِي الْكَنِيسَةِ. وَفِي ٣: ١٤ أُبْرِرَ يَعْقُوبُ حَقِيقَةً أَنَّ
كَثِيرِينَ فِي الْكَنِيسَةِ كَانَتْ لَهُمْ غَيْرَةٌ مَرَّةً وَتَحَزَبٌ فِي قُلُوبِهِمْ. وَبِحَسَبِ الْعَدَدِ الْخَامِسِ عَشَرَ، كَانَ
بَعْضُهُمْ عَلَى الْأَقْلَى يُبْرِرُونَ مُمَارَسَاتِهِمْ بِدَعْوَتِهَا "حِكْمَةً". وَلَكِنْ يَعْقُوبُ حذرهم من الافتخار بِشَأْنِ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَهُ، وَمِنَ الْكُذْبِ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي كَانَ يُوشِكُ أَنْ يَقْدَمَهُ لَهُمْ.

يَجِدُ الْعَدِيدُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، صُعُوبَةً فِي فَهْمِ سَبَبِ اهْتِمَامِ يَعْقُوبِ الشَّدِيدِ،
بِالنِّزَاعِ بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ فِي الْكَنِيسَةِ الْأُولَى. وَيَسْتَمِرُّ وُجُودُ مُؤْمِنِينَ فَقَرَاءٍ وَأَغْنِيَاءٍ فِي الْكَنِيسَةِ
الْيَوْمِ، خَاصَّةً حِينَ نَقَارَنَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّوَلِ الْمُخْتَلَفَةِ. وَلَكِنْ فِي الْعَالَمِ الْمَعَاوِرِ، تَمِيلُ الْكُنَائِسُ
الْمَحَلِّيَّةُ لِأَنَّ تَكُونُ مُتَّجَانِسَةً إجْتِمَاعِيًّا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْقُرْنِ الْأَوَّلِ الْمِيلَادِيِّ. يَفْضَلُ
الْمُؤْمِنُونَ الْأَغْنِيَاءُ الذَّهَابَ لِكَنِيسَةِ شَعْبِهَا أَغْنِيَاءَ، وَيَمِيلُ الْمُؤْمِنُونَ الْفُقَرَاءُ لِلذَّهَابِ إِلَى كَنِيسَةِ شَعْبِهَا
فُقَرَاءَ. وَلَكِنْ تَخَيَّلْ أَنْ تَحْتَوِي كَنِيسَتُكَ الْمَحَلِّيَّةُ عَلَى فُقَرٍ شَدِيدٍ وَعِنَى فَاحِشٍ. كَمْ مِنَ الْخِلَافِ سَيَنْشَأُ
عَنْ هَذَا الْوَضْعِ؟ سَيَأْتِي بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ لِلْكَنِيسَةِ بِثِيَابٍ بَالِيَةِ، وَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ سَيَأْتِي طَعَامٌ وَجَبْتَهُمْ
النَّالِيَّةُ، بَيْنَمَا يَجْلِسُ آخَرُونَ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ مُرْتَدِّينَ أَفْخَرَ الثِّيَابِ، وَجُيُوبَهُمْ تَمْتَلِي بِالْأَمْوَالِ. لَوْ كَانَ
ذَلِكَ هُوَ وَضْعُ كَنِيسَتِكَ الْمَحَلِّيَّةِ، فَسَتُكُونُ فِي حَالَةِ إِضْطِرَابٍ.

كَانَتْ النِّزَاعَاتُ بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ فِي زَمَنِ يَعْقُوبَ تَتَسَبَّبُ بِضَرَرٍ شَدِيدٍ فِي الْكُنَائِسِ الَّتِي
وَجَّهَ إِلَيْهَا رِسَالَتَهُ. فَوَاضِحٌ أَنَّ الْفُقَرَاءَ كَانُوا يَشْعُرُونَ بِأَنَّ لَهُمَ الْعِذْرَ الْكَامِلَ، بَلْ وَأَنَّهُمْ حُكَمَاءُ، فِي
غَيْرَتِهِمْ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ. فَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أُمْتَالَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّتِي تُعَلِّمُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ مَعَ
الْفُقَرَاءِ. وَهَكَذَا، عَلِمُوا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِأَخْوَاتِهِمْ وَأَخْوَاتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُشَارِكُوهُمْ بِمَا لَدَيْهِمْ. كَمَا شَعَرَ
الْأَثْرِيَاءُ بِأَنَّ لَهُمَ الْعِذْرَ أَيْضًا، بَلْ وَأَنَّهُمْ حُكَمَاءُ، فِي تَحَرُّبِهِمْ. فَقَدْ كَانُوا يَقْتَبِسُونَ أُمْتَالَ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
تَعَزُّو الْفُقَرَّ لِلتَّرَاخِي، وَتَقَدِّمُ الْغِنَى عَلَى أَنَّهُ مُكَافَأَةٌ لِلْعَمَلِ الشَّاقِّ.

وَلَكِنْ يَعْقُوبُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْحِكْمَةِ كَانَ أَسْوَأَ بِكَثِيرٍ مِنْ كَوْنِهِ ارْتِكَابَ خَطَا أَوْ
سُوءِ الْحُكْمِ عَلَى الْأُمُورِ. فَهَذِهِ حِكْمَةٌ أَرْضِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ، أَوْ طَبِيعِيَّةٌ، وَهِيَ أَيْضًا شَيْطَانِيَّةٌ. وَكَانَ بَرَهَانٌ
أَصْلَهَا الشَّيْطَانِيَّ حَلِيًّا تَمَامًا. فَقَدْ قَادَتْ إِلَى التَّشْوِيشِ وَكُلِّ أَمْرٍ رَدِيءٍ فِي الْكَنِيسَةِ.

أظنُّ أَنَّ الْجَمِيعَ يَعْرِفُونَ أَنَسًا يرون أَنفُسَهُمْ حُكَمَاءَ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ، وَكَثِيرًا مَا تَمَيَّزَتْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ بِالغُرُورِ، أَي بِطَبِيعَةِ عَدَائِيَّةٍ، وَرَغْبَةٍ فِي مُخَالَفَةِ الْآخَرِينَ. وَيَقُولُ يَعْقُوبُ إِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ حِكْمَةَ اللَّهِ. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْحِكْمَةِ، الْحِكْمَةَ الْعَالَمِيَّةَ، أَوْ كَمَا يَدْعُوهَا "حِكْمَةُ أَرْضِيَّةٍ"، لَيْسَ خَطِيرًا أَوْ غَيْرَ نَافِعٍ فَحَسْبُ، بَلْ يَدْعُوهَا "بِالشَّيْطَانِيَّةِ" أَيْضًا. فِي حِينِ أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي مِنَ اللَّهِ هِيَ حِكْمَةٌ تَتَّبَعُ مِنْ مَخَافَةِ الرَّبِّ، وَنَتِيجَةُ لَذَلِكَ فَهِيَ تَتَّسِمُ بِالتَّوَّاضُعِ وَالتَّرَفُّقِ وَالأَمَانَةِ تَجَاهِ الرَّبِّ، حَيْثُ يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ أَنَّ هَذِهِ الْحِكْمَةَ لَيْسَتْ مِنْهُ، بَلْ هِيَ مِنَ اللَّهِ نَفْسِهِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا بِسَخَاءٍ، كَمَا يَقُولُ يَعْقُوبُ. هَذَا هُوَ نَوْعُ الْحِكْمَةِ الَّتِي يُفْتَرَضُ أَنْ يَظْهَرَهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَتْبَاعِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْحَكِيمِ الْعَظِيمِ، الْأَعْظَمِ مِنْ سُلَيْمَانَ فِي حِكْمَتِهِ، فِي حَيَاتِهِمْ.

— د. سكت رد

وَفِي النِّهَايَةِ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يُسَاعَدَ جَسَدَ الْمَسِيحِ فِي امْتِدَادِ عَمَلِ اللَّهِ، نَرَاهُ صَارَ مُنْقَسِمًا وَفِي حَالَةٍ حَرَبٍ مَعَ دَاتِهِ. فَالْكَنَائِسُ الَّتِي يَكْتُنِبُ لَهَا يَعْقُوبُ وَقَعَتْ فَرِيسَةَ الشَّيَاطِينِ الَّتِي كَانَ أَهْمُ مَسْعَى لَهَا عَلَى الإِطْلَاقِ هُوَ تَخْرِيبُ عَمَلِ اللَّهِ. وَكَانَ هَذَا الْخَرَابُ هُوَ الَّذِي دَفَعَ يَعْقُوبَ إِلَى الإِصْرَارِ عَلَى كَوْنِ قُرْآنِهِ بِحَاجَةِ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ.

بَعْدَ تَنَاوُلِ يَعْقُوبُ لِمَوْضُوعِ الْإِحْتِيَاجِ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ بِرَفْضِ الْحِكْمَةِ الْأَرْضِيَّةِ الْمُدْمِرَةِ، اِنْتَقَلَ مُبَاشَرَةً إِلَى الْبَدِيلِ الَّذِي يَدْعُوهُ الْحِكْمَةَ السَّمَاوِيَّةَ.

الحكمة السماوية

فِي ٣: ١٧، يَصِفُ يَعْقُوبُ هَذِهِ الْحِكْمَةَ السَّمَاوِيَّةَ الْإِيجَابِيَّةَ كَمَا يَلِي:

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقُ فَهِيَ أَوْلًا طَاهِرَةٌ، ثُمَّ مُسَالِمَةٌ، مُتَرَفِّقَةٌ، مُدْعِنَةٌ، مَمْلُوءَةٌ رَحْمَةً وَأَثْمَارًا صَالِحَةً، عَدِيمَةٌ الرِّيْبِ وَالرِّيَاءِ. (يعقوب ٣: ١٧)

نَرَى هُنَا أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُفَكِّرُ بِالْحِكْمَةِ الَّتِي مِنْ فَوْقُ، أَيِ الْحِكْمَةِ الَّتِي تَأْتِي مِنَ اللَّهِ. هَذِهِ

الْحِكْمَةُ مُسَالِمَةٌ، وَمُتَرْفِقَةٌ، وَمُدْعِنَةٌ، وَمَمْلُوءَةٌ رَحْمَةً وَأَثْمَارًا صَالِحَةً، وَعَدِيمَةٌ الرَّيْبِ، وَعَدِيمَةٌ الرِّيَاءِ. وَبِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقٍ لَا تُخْطِئُ بِتَبْرِيرِ الْغَيْرَةِ وَالتَّحْزِبِ، سِوَاءَ لَدَى الْفُقَرَاءِ أَوْ الْأَغْنِيَاءِ. فَالْحِكْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الْآتِيَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَزُّزُ مَحَبَّةِ السَّلَامِ. وَيُظْهِرُ شَعْبُ اللَّهِ هَذَا السَّلَامَ بِتَرْفُقِهِ بِالْآخَرِينَ، وَإِذْعَانِهِ لَهُمْ، وَإِبْدَاءِ الرَّحْمَةِ تَجَاهَهُمْ. كَمَا أَنَّهُمْ يُثْمِرُونَ أَثْمَارًا صَالِحًا، وَلَا يَظْهَرُونَ الرَّيْبَ لِحِمَاةٍ أَوْ لِأُخْرَى. وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَالْمَوَاقِفِ تَنْبُعُ مِنْ تَكْرِيسِ عَدِيمِ الرِّيَاءِ لِلْمَسِيحِ.

هَذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقٍ، الَّتِي تَأْتِي مِنَ اللَّهِ، فَهِيَ، لِكُونِهَا مِنْ فَوْقٍ، اِنْعِكَاسٌ لِصِفَاتِ اللَّهِ. يَقُولُ يَعْقُوبُ إِنَّهَا طَاهِرَةٌ، وَمَسَالِمَةٌ، وَمُتَرْفِقَةٌ، وَمَمْلُوءَةٌ بِالْأَثْمَارِ الصَّالِحَةِ، وَرَحِيمَةٌ، وَعَدِيمَةٌ الرَّيْبِ، وَصَادِقَةٌ، أَوْ بِكَلِمَاتٍ أُخْرَى عَدِيمَةٌ الرِّيَاءِ، وَالَّتِي هِيَ صِفَاتُ لَيْسُوعِ الْمَسِيحِ. اِتَّصَفَ يَسُوعُ بِكُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ. وَيَقُولُ يَعْقُوبُ إِنَّ هَذِهِ هِيَ الْأُمُورُ - الَّتِي لَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى تَقَدُّمِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَلَنْ تَجْعَلَكَ نَاجِحًا، وَلَنْ تَعْنِيَ أَنَّكَ سَتَسْكُنُ فِي بَيْتِ أَكْبَرَ، وَلَكِنَّهَا سَتُؤَدِّيَ إِلَى الْبِرِّ وَالسَّلَامِ، حَسَبَ قَوْلِ يَعْقُوبِ؛ وَبِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، "الشالوم" الْحَقِيقِي، أَوْ السَّلَامِ الْحَقِيقِي. وَمِنْ اللَّافِتِ أَنَّ الْجَمِيعَ يُرِيدُونَ فِي الْحَقِيقَةِ "الشالوم"، وَالْكَمَالَ، وَالْمِلءَ، وَالسَّلَامَ. هُمْ يُرِيدُونَ هَذِهِ الْأُمُورَ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ الْحِكْمَةَ الْأَرْضِيَّةَ هِيَ وَسِيلَةُ حَصُولِهِمْ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ السَّلَامِ النَّاتِجِ لَا يَأْتِي سِوَى مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي مِنْ فَوْقٍ، الَّتِي لَا تَسْعَى إِلَى تَقَدُّمِ صَاحِبِهَا، بَلْ، كَمَا يَقُولُ يَعْقُوبُ فِي الْعَدَدِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنَ الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ، إِنَّهَا حِكْمَةٌ تَتَّصِفُ بِالْوَدَاعَةِ وَالتَّوَاضُّعِ وَعَدَمِ طَلَبِ مَا لِلنَّفْسِ، بَلْ يَطْلُبُ خَيْرَ الْآخَرِينَ.

— د. دان مكارتن

في ٣: ١٨، لَقَدْ يَعْقُوبُ اِنْتِبَاهَ قُرْآنَهُ إِلَى مَا كَانَ فِي الْعَالَمِ مَثَلًا شَهِيرًا:

وَتَمُرُّ الْبِرُّ يُزْرَعُ فِي السَّلَامِ مِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّلَامَ. (يعقوب ٣: ١٨)

وكما طَوَّبَ يَسُوعُ صَانِعِي السَّلَامِ فِي اِنْجِيلِ مَتَّى ٥: ٩، أَوْضَحَ يَعْقُوبُ أَنَّ الْفُقَرَاءَ وَالْأَغْنِيَاءَ فِي الْكَنِيسَةِ سَيَنَالُونَ مُكَافَأَةً عَظِيمَةً لِأَجْلِ بَرِّهِمْ - إِنْ كَانُوا مِمَّنْ يَصْنَعُونَ السَّلَامَ فِي الْكَنِيسَةِ.

نَظَرْنَا الْآنَ إِلَى الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَرَأَيْنَا الْإِحْتِيَاجَ الَّذِي دَفَعَ يَعْقُوبَ لِتَخْصِصِ جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْ رِسَالَتِهِ لِهَذَا الْمَوْضُوعِ، وَالْآنَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَقِلَ إِلَى الْإِرْشَادِ الَّذِي قَدَّمَهُ لِقُرَائِهِ بِشَأْنِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَمَارِسُوا بِهَا حِكْمَةَ اللَّهِ عَمَلِيًّا.

الإرشاد

من الشائع أن يتحدث أتباع المسيح كثيراً عن الاحتياج للاهوت العملي. فإننا نريد عِظَاتٍ عَمَلِيَّةٍ. ونرغب في دروس تعرّفنا كيف نسلك في الحياة. وفي أجزاء عديدة من العالم، توجد موادّ مُتاحةٌ وجديرة بالثقة تُعطينا الإرشاد حول كل جانب من جوانب الحياة. ولكن تذكرنا رسالة يعقوب بالمعايير والأولويات التي غالباً ما ننساها ونحن نسعى وراء الحكمة في حياتنا اليومية. تحوي رسالة يعقوب الكثير من الأمور المحددة عن الإرشاد المتعلق بالحياة العملية. ولكننا سنحصر أنفسنا في اعتبارين فقط. أولاً سننظر كيف أيدت رسالة يعقوب معيار ناموس الله. وثانياً، سنرى أن يعقوب نادى ببعض الأولويات في ناموس الله. ولننظر أولاً إلى معيار ناموس الله.

معيار ناموس الله

يعي معظم المؤمنين المعاصرين التحذيرات التي يقدمها العهد الجديد بشأن ناموس الله في العهد القديم. فمن ناحية، نعلم أن الخلاص هو بالنعمة، بواسطة الإيمان، وليس بالأعمال. ونحن نتبع بحق تركيز الرسول بولس في رسائل، مثل رسالة غلاطية، على مقاومة كل محاولة لنوال الخلاص من خلال طاعة الناموس.

بالإضافة إلى هذا، نعرف أنه علينا ألا نطبق ناموس الله كما لو كنا في زمن العهد القديم. كما أننا نتبع بحق ما تشدد عليه بعض الأسفار، مثل رسالة العبرانيين، فنطبق ناموس الله كما علمنا المسيح والرسل والأنبياء أن نطبقه في عصر العهد الجديد.

والآن، برغم أهمية هذه التحذيرات، لكننا لا نجدّها في رسالة يعقوب. وبدلاً من ذلك، يُشير يعقوب إلى ناموس الله بلغة إيجابية تماماً. فقد شدّد على ما دعي قديماً "الاستخدام الثالث للناموس". فنحن نتبع الناموس كتعبير عن إمتناننا لله لأجل مرحمته التي أبدأها لنا في المسيح.

ناموس الحرية. نُقَدِّمُ رِسَالَةَ يَعْقُوبَ وَصَفَيْنِ لِنَامُوسِ اللَّهِ تَنفَرِدُ بِهِمَا رِسَالَتُهُ. فَيَدْعُوهَا أَوْلًا نَامُوسَ الْحُرِّيَّةِ.

تَكَلَّمَ يَعْقُوبُ عَنِ نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ فِي ١: ٢٥، وَ ٢: ١٢، يَقُولُ يَعْقُوبُ إِنَّ النَّامُوسَ يُحَرِّرُنَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لِلْخَطِيئَةِ وَتَأْتِيرَاتِهَا الْمُدْمِرَةِ. فَحِينَ نَتَّبِعُ النَّامُوسَ مِنْ مُنْطَلَقِ الشُّعُورِ بِالْإِمْتِنَانِ لِلَّهِ، فَإِنَّ هَذَا النَّمُوسَ فِي الْحَقِيقَةِ يُعْطِينَا الْحُرِّيَّةَ.

أَشَارَ يَسُوعُ إِلَى هَذِهِ الْفِكْرَةِ نَفْسِهَا فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا ٨: ٣٢، حَيْثُ قَالَ:

وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ. (يوحنا ٨: ٣٢)

وَفِي رِسَالَةِ رُومِيَّةَ ٧: ٧-١٣، وَصَفَ بُولُسُ النَّامُوسَ بِاعْتِبَارِهِ شَيْئًا تَسْتَعْلَهُ الْخَطِيئَةُ لِإِنْشَاءِ كُلِّ شَهْوَةٍ فِينَا لِجَعْلِنَا عِبِيدًا لِلْخَطِيئَةِ. وَلَكِنَّ حِينَ دَعَا يَعْقُوبَ النَّامُوسَ "نَامُوسَ الْحُرِّيَّةِ"، كَانَ يَصِفُ كَيْفَ يَسْتَعْمِدُ رُوحَ اللَّهِ النَّامُوسَ بِطَرِيقَةٍ إِيْجَابِيَّةٍ بِاعْتِبَارِهِ مُرْشِدِنَا الرَّسْمِيِّ لِلْحُصُولِ عَلَى الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ.

وَكَمَا رَأَيْنَا، فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنْ قُرَاءِ رِسَالَةِ يَعْقُوبَ كَانُوا عَالِقِينَ فِي شِبَاكِ الْخَطِيئَةِ الَّتِي كَانَتْ تُؤْذِي الْكَنِيسَةَ، تَارِكَةً إِيَّاهُمْ فِي حَالَةٍ إِحْبَاطٍ. وَطَالَمَا اسْتَمَرُوا فِي اتِّبَاعِ أَفْكَارِهِمْ عَنِ الْحِكْمَةِ، كَانُوا عَاجِزِينَ عَنِ النَّجَاةِ مِنَ الْإِحْبَاطَاتِ، وَالضِّيَقَاتِ، وَالضَّرَرِ الَّذِي تَحْدِثُهُ الْخَطِيئَةُ فِي حَيَاتِهِمْ. وَلَكِنْ كَمَا حَرَّرَهُمْ كَلِمَةُ اللَّهِ مِنْ عُقُوبَةِ الْخَطِيئَةِ وَطَغْيَانِهَا فِي الْبَدَايَةِ، رَسَمَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ أَيْضًا مَسَارًا لِلْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ سَبْحًا رُحْمًا مِنْ إِضْطِرَابَاتِ وَإِحْبَاطَاتِ الْخَطِيئَةِ.

مُؤَكَّدٌ أَنَّ النَّامُوسَ يَرشِدُ وَيُؤدِّبُ وَيَقُومُ حَيَاةَ الْمُؤْمِنِ، وَيَحَاوِلُ أَنْ يُعِيدَهَا إِلَى حَالَةِ الْإِنْسِجَامِ مَعَ مَشِيئَةِ اللَّهِ. وَلِذَا أَظُنُّ أَنَّ هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ دَعَا يَعْقُوبُ بِنَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ، وَلِأَجْلِهِ قَالَ إِنَّا سَنَحَاكُمُ بِنَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ. وَأَفْهَمَ هَذَا بِمَعْنَى الْحُرِّيَّةِ الَّتِي أَعْطَانَا إِيَّاهَا الْمَسِيحُ. وَلِذَا فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَحْيَا وَنَتَعَامَلَ بَعْضُنَا مَعَ بَعْضٍ. يَنْبَغِي أَنْ نَحَاكُمَ بِالنَّامُوسِ الَّذِي بِحَسَبِهِ لَا يُحَابِي اللَّهَ أَحَدًا، بَلْ يُعْطِي نِعْمَتَهُ مَجَانًّا، وَلِذَا عَلَيْنَا أَنْ نُبْذِيَ النِّعْمَةَ نَفْسَهَا وَعَدَمَ الْمُحَابَاةِ نَفْسَهَا فِي تَعَامُلِنَا بَعْضُنَا مَعَ بَعْضٍ، أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ، شَبَابًا وَأَحْدَاثًا، عِبِيدًا وَأَحْرَارًا، ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَهُوَ مَا يَقُولُهُ بُولُسُ بِالْفِعْلِ.

— د. جفري جيبز

لهَذَا أَصْرٌ يَعْقُوبُ فِي ١: ٢٢-٢٥ عَلَى الْآتِي:

وَلَكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لَا سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نَفُوسِكُمْ. ... وَلَكِنْ مَنْ اطَّلَعَ
عَلَى النَّامُوسِ الْكَامِلِ - نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ - وَثَبَّتَ، وَصَارَ لَيْسَ سَامِعًا نَاسِيًا بَلْ
عَامِلًا بِالْكَلِمَةِ، فَهَذَا يَكُونُ مَغْبُوطًا فِي عَمَلِهِ. (يعقوب ١: ٢٢-٢٥)

الناموس الملوكي. بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ نَامُوسِ اللَّهِ بِصِفَتِهِ نَامُوسَ الْحُرِّيَّةِ، فَإِنَّ
يَعْقُوبَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِجَابِيَّةٍ أَيْضًا بِاعْتِبَارِهِ "النَّامُوسِ الْمُلُوكِيِّ".
أُطْلِقَ يَعْقُوبُ عَلَى النَّامُوسِ اسْمَ "النَّامُوسِ الْمُلُوكِيِّ" فِي ٢: ٨. وَقَدْ لَفَّتْ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ
الْإِنْتِبَاهَ إِلَى وَجْهَةِ نَظَرٍ بِشَأْنِ وَصَايَا اللَّهِ تَظَهَّرَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ. كَانَ نَامُوسُ
اللَّهِ هُوَ مَرْسُومَةُ الْمَلِكِيِّ. فَقَدْ صَدَرَ مِنَ الْقَائِدِ الْأَعْلَى لِشَعْبِهِ بِصِفَتِهِمْ مُوَاطِنِي مَمْلَكَتِهِ.
فِي عَالَمِنَا الْمَعَاصِرِ، كَثِيرًا مَا نُوَاجِهُ صُعُوبَةً فِي فَهْمِ مَعْرَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْمَلِكِيَّةِ. فَقَلِيلُونَ مَنَّا
يَعِيشُونَ فِي دَوْلٍ يَحْكُمُهَا مُلُوكٌ أَقْوِيَاءٌ. وَلَكِنَّ قُرَاءَةَ رِسَالَةِ يَعْقُوبَ كَانُوا يَعِيشُونَ تَحْتَ سُلْطَةِ
الْإِمْبِرَاطُورِ الرُّومَانِيِّ. وَلِذَا عَرَفُوا مَعْنَى أَنْ يُدْعَى نَامُوسُ اللَّهِ بِ"النَّامُوسِ الْمُلُوكِيِّ". فَبِبَسَاطَةٍ، كَانُوا
يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ النَّعَامُلَ مَعَ نَامُوسِ اللَّهِ بِاسْتِخْفَافٍ. فَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا يُمَكِّنُنَا أَنْ تَقْبَلَهُ أَوْ نَرَفُضَهُ كَمَا
نَرْغَبُ. بَلْ هُوَ صَادِرٌ عَنِ الْمَلِكِ الْإِلَهِيِّ لِلْكَوْنِ. وَلِذَا، فَإِنَّ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ سُلْطَةً مُطْلَقَةً عَلَيْنَا.
اسْتَمِعْ إِلَى مَا يَقُولُهُ يَعْقُوبُ فِي ٢: ٨-١٠، حَيْثُ يَتَوَسَّعُ يَعْقُوبُ فِي شَرْحِ سُلْطَةِ نَامُوسِ اللَّهِ
الْمُلُوكِيِّ:

فَإِنْ كُنْتُمْ تَكْمُلُونَ النَّامُوسَ الْمُلُوكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ ... فَحَسَنًا تَفْعَلُونَ. ... لِأَنَّ مَنْ
حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. (يعقوب ٢:
٨-١٠)

كَثِيرُونَ مِنْ قُرَاءِ رِسَالَةِ يَعْقُوبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْلِ يَهُودِيٍّ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْظَمُهُمْ، كَانُوا
يُذَكِّرُونَ أَهْمِيَةَ نَامُوسِ اللَّهِ. وَلَكِنَّهُمْ، كَمَا نَرَى هُنَا، كَانُوا يَخْضَعُونَ لِلنَّامُوسِ بِانْتِقَائِيَّةٍ. فَقَدْ كَانُوا

يَحْفَظُونَ أَجْزَاءَ مِنْهُ بَيْنَمَا يَتَجَاهَلُونَ أَجْزَاءَ أُخْرَى. وَلِذَا ذَكَرَهُمْ يَعْقُوبُ بِأَنَّ النَّامُوسَ هُوَ "النَّامُوسَ الْمُلُوكِيِّ حَسَبَ الْكِتَابِ". فقد صدر هذا النَّامُوسُ عن مَلِكِهِمُ الْإِلَهِيِّ. وَلِذَا فَإِنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ".

لَمْ يَكُنْ مَقْبُولًا لَدَى الْمُلُوكِ الْقَدَامَى مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُطِيعَ مُوَاطِنُوهُمْ فَقَطُّ قَوَانِينَ الْبَلَدِ الَّتِي كَانُوا يَرُونَهَا مُنَاسِبَةً أَوْ مُسِرَّةً. وهكذا أيضًا، لَمْ يَكُنْ مَقْبُولًا أَنْ تَقْتَصِرَ طَاعَةُ أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ عَلَى شَرَائِعِ مَلَكُوتِ اللَّهِ الَّتِي يَجِدُونَهَا مُنَاسِبَةً أَوْ مُسِرَّةً. كَانَ الْمُلُوكُ الْقَدَامَى مِنَ الْبَشَرِ يَعْتَبِرُونَ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْإِنتِقَائِيَّةِ تَمَرَّدًا عَلَى سُلْطَتِهِمُ الْمَلَكِيَّةِ. هكذا يعتبر الله أيضًا هَذِهِ الْإِنتِقَائِيَّةِ تَمَرَّدًا عَلَى سُلْطَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ. فَنَامُوسُ اللَّهِ هُوَ مَعْيَارُ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَهُوَ يَأْتِي بِالْحُرِّيَّةِ لِكُلِّ مَنْ يَسْعَوْنَ مُخْلِصِينَ إِلَى إِطَاعَةِ جَمِيعِ أَحْكَامِهِ الْمَلَكِيَّةِ.

بعد أن نَظَرْنَا إِلَى مَدَى إِصْرَارِ يَعْقُوبِ عَلَى أَنْ الْإِزْشَادَ الْلازِمَ لِنَوَالِ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ مَوْجُودٌ فِي مَعْيَارِ نَامُوسِ اللَّهِ، نَتَحَوَّلُ الْآنَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّتِي بَهَا رَكَّزَ عَلَى بَعْضِ الْأَوْلِيَّاتِ فِي نَامُوسِ اللَّهِ.

الأولويات في ناموس الله

دعونا نواجه الأمر، كُلَّمَا تَكَلَّمَ الْمُؤْمِنُونَ عَنْ حِفْظِ جَمِيعِ الْوَصَايَا الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ لَنَا، نُوَاجِهَ مُشْكَلَةً عَمَلِيَّةً لِلغَايَةِ. فَهَذَاكَ عَدَدٌ كَبِيرٌ جِدًّا مِنْ الْوَصَايَا حَتَّى أَنَّهُ يَصْعُبُ تَذَكُّرُهَا جَمِيعًا، فَكَمْ بِالْحُرِيِّ طَاعَتَهَا كُلِّهَا. وَلِذَلِكَ، بِسَبَبِ قِيُودِ مَحْدُودِيَّاتِنَا، نَكُونُ مُجْبَرِينَ عَلَى التَّرْكِيزِ عَلَى وَصِيَّةٍ مَا أَوْ غَيْرِهَا. وَبِالتَّأَكِيدِ يَسْهَلُ وَقُوعُنَا فِي فَحْخِ تَجَاهُلِ سُلْطَانِ كَلِمَةِ اللَّهِ بِتَرْكِيزِنَا فَقَطُّ عَلَى مَقَاطِعِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الَّتِي نَرْغَبُ فِي طَاعَتِهَا. لِتَجَنُّبِ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ، نَحْتَاجُ أَنْ نُدْرِكَ الْأَوْلِيَّاتِ الَّتِي يَضَعُهَا لَنَا النَّامُوسُ نَفْسَهُ. وَعَلَيْنَا دَوْمًا أَنْ نُعْطِيَ الْأَوْلِيَّةَ لِلْأَبْعَادِ الْأَكْثَرَ أَهْمِيَّةً فِي نَامُوسِ اللَّهِ.

ربما تَتَذَكَّرُ أَنَّ يَسُوعَ تَنَاوَلَ مَوْضُوعَ الْأَوْلِيَّاتِ فِي نَامُوسِ اللَّهِ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى ٢٢: ٣٤-٤٠. فِي هَذِهِ الْأَعْدَادِ، حَدَّدَ يَسُوعُ أَعْظَمَ وَصِيَّتَيْنِ. فَقَدْ قَالَ بِكَلِمَاتٍ لَا تَقْبَلُ الْجِدَالَ إِنْ وَصِيَّةٌ مَحَبَّةٌ لِلَّهِ، الْوَارِدَةُ فِي سِفْرِ التَّنْبِيَةِ ٦: ٥، هِيَ أَهْمُ مَبْدَأٍ يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَهُ الْإِنْسَانُ فِي اعْتِبَارِهِ. كَمَا أَشَارَ إِلَى أَنَّ وَصِيَّةَ مَحَبَّةٍ قَرِيبِنَا، الْوَارِدَةُ فِي سِفْرِ الْلاوِيِّينَ ١٩: ١٨، هِيَ الْمَبْدَأُ الثَّانِي الْأَكْثَرَ أَهْمِيَّةً. لَقَدْ فَهَمَ الرَّسُولُ بُولُسُ بِوُضُوحٍ أَنَّ مَحَبَّتَنَا لِلَّهِ هِيَ أَعْظَمُ الْوَصَايَا. لَكِنْ فِي رِسَالَةِ غَلَاطِيَّةِ ٥: ١٤، يَقُولُ أَيْضًا إِنَّ كُلَّ النَّامُوسِ يُكْمَلُ فِي وَصِيَّةِ مَحَبَّةٍ قَرِيبِنَا كَأَنْفُسِنَا. وَمَنْ اللَّافِتُ لِلنَّظَرِ أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَّمَ الْأَمْرَ نَفْسَهُ.

اسْتَمِعْ إِلَى بَقِيَّةِ مَا يَقُولُهُ ٢: ٨-١٠، حَيْثُ نَجِدُ تَرْكِيزَ يَعْقُوبَ الْخَاصُّ عَلَى ثَانِيِ أَعْظَمِ

الْوَصَايَا:

فَإِنْ كُنْتُمْ تُكْمَلُونَ النَّامُوسَ الْمُلُوكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». فَحَسَنًا تَفْعَلُونَ. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ تُحَابُونَ، تَفْعَلُونَ خَطِيئَةً، مُؤَبِّخِينَ مِنَ النَّامُوسِ كَمُتَعَدِّينَ. لِأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. (يعقوب ٢: ٨-١٠)

لاحظ هنا كيفية تُلخِصُ يَعْقُوبُ لِأَوْلِيَّاتِ النَّامُوسِ الْمُلُوكِيِّ بِكَلِمَاتِ سِفْرِ اللَّائِيَّيْنَ، الْأَصْحَاحِ التَّاسِعِ عَشَرَ وَالْعَدَدِ الثَّامِنِ عَشَرَ: "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ". لَيْسَ سَبَبُ قِيَامِ يَعْقُوبِ بِهَذَا لِعِزًّا. فَالْإِضْطِرَابُ الَّذِي كَانَ حَاصِلًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ الْأَغْنِيَاءِ فِي الْكَنِيسَةِ كَانَ نَتِيجَةً تَجَاهِلُهُمْ لِثَانِيِ أَعْظَمِ الْوَصَايَا. وَكَمَا يَشِيرُ يَعْقُوبُ هُنَا، فَإِنَّ مِنْ "يُحَابُونَ" لِصَالِحِ الْأَغْنِيَاءِ هُمْ "مُؤَبِّخِينَ مِنَ النَّامُوسِ كَمُتَعَدِّينَ" وَلَيْسَ هَذَا أَمْرًا بَسِيطًا. فَكُلُّ مَنْ يَتَجَاهَلُ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ الْوَاحِدَةَ بَيْنَمَا يَحْفَظُ بَقِيَّةَ الْوَصَايَا الْأُخْرَى هُوَ "مُجْرِمٌ فِي الْكُلِّ [كُلِّ النَّامُوسِ]". وَهَكَذَا، يُعْطِي نَامُوسُ اللَّهِ، الَّذِي هُوَ الْمُرْشِدُ الرَّسْمِيُّ بِشَأْنِ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ، أَوْلِيَّةً عَظْمَى لِمَحَبَّتِنَا بَعْضِنَا لِبَعْضٍ، كَوْصِيَّةٍ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مَبَاشَرَةً بَعْدَ وَصِيَّةِ مَحَبَّةِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِنَا.

وَبِهَذَا الشَّانِ ذَكَرَ يَعْقُوبُ الْأَغْنِيَاءَ فِي ١: ٢٧ قَائِلًا:

الِدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللَّهِ الْآبِ هِيَ هَذِهِ: اِفْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ فِي ضَيْقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلَا دَنْسٍ مِنَ الْعَالَمِ. (يعقوب ١: ٢٧)

مَا هُوَ اِمْتِحَانُ الدِّيَانَةِ الْحَقِيقِيَّةِ؟ لَيْسَ هُوَ عَمَلُ أُمُورٍ صَالِحَةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ، تَجْعَلُكَ تَنْظَرُ بِشَكْلِ جَيِّدٍ أَمَامَ الْمُجْتَمَعِ، بَلْ اِمْتِحَانُ الْحَقِيقِيِّ هُوَ اِتِّبَاعُ طَرِيقِ اللَّهِ - فَهُوَ يَهْتَمُّ بِالْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ - فِي الْخَفَاءِ، وَحِينَ لَا تَحْصُلُ عَلَى شَيْءٍ بِالْمُقَابِلِ. مَنْ هُوَ الْيَتِيمُ؟ وَمَنْ هِيَ الْأَرْمَلَةُ؟ هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ لَكَ مُقَابِلَ مَا تُعْطِيهِ. وَلِذَا، فَإِنَّ عَمَلَ إِحْسَانِكَ تَجَاهَ جَارِكَ أَوْ رَيْسِكَ فِي الْعَمَلِ لَا يُحْسَبُ دَلِيلًا عَلَى الدِّيَانَةِ الْحَقِيقِيَّةِ. وَلَكِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْفُقَرَاءَ، وَيَهْتَمُّ بِأَضْعَفِ الضُّعَفَاءِ، وَلَا يَأْخُذُ

مُقَابِلَ ذَاكَ أَيُّ شَيْءٍ مَادِّيٍّ. بِالطَّبَعِ يِنَالِ تَسْبِيحِنَا، وَيَتَلَذَّذُ وَيَسِرُ بِالْخَيْرِ الَّذِي نَعْمَلُهُ. وَلَكِنَّ الْإِهْتِمَامَ بِمَنْ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مَا يَعْطُونَهُ بِالْمُقَابِلِ، هَذَا إِمْتِحَانٌ ضَخْمٌ.

— د. دان دورباني

رَكَزَ يَعْقُوبُ عَلَى حَاجَةِ الْأَغْنِيَاءِ إِلَى اتِّبَاعِ أَوْلِيَائِ نَامُوسِ اللَّهِ بِمَحَبَّتِهِمْ لِأَقْرِبَائِهِمُ الْفُقَرَاءَ. وَلَكِنَّ مَحَبَّةَ الْفَرِيبِ كَانَتْ أَمْرًا بَالِغَ الْأَهْمِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ حَتَّى أَنْ يَعْقُوبَ رَكَزَ عَلَى كَوْنِهَا تَخُصُّ الْفُقَرَاءَ وَالْأَغْنِيَاءَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى هَذَا أَنْ يَعْقُوبَ أَوْضَحَ طَوَالَ رِسَالَتِهِ أَنَّ مَحَبَّةَ أَقْرِبَائِنَا تَعْنِي اسْتِخْدَامَ أَلْسِنَتِنَا كَأَدَوَاتٍ لِلْبَرَكَةِ.

فِي ١ : ١٩، دَعَا يَعْقُوبُ كُلَّ إِنْسَانٍ أَنْ يَكُونَ "مُسْرِعًا فِي الْإِسْتِمَاعِ، مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ، مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ" مَعَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ. وَفِي ٤ : ١-٣، أَصْرَ يَعْقُوبُ عَلَى ضَرُورَةِ الْأَلَّا تَوْجُدُ الْحُرُوبَ، وَالْخُصُومَاتِ، وَالذَّمَّ وَسَطَّ شَعْبِ اللَّهِ. وَفِي ٤ : ١١، أَدَانَ يَعْقُوبُ "الدَّمَ". وَفِي ٥ : ٩، أَمَرَ قَائِلًا: "لَا يَبْنُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ". وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، بِحَسَبِ ٥ : ١٦، كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ "يَعْتَرِفُوا بِبَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلَّاتِ [أَي زَلَاتِهِمْ] وَيَصِلُوا بِبَعْضِهِمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ".

إِنْ أَرَادَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ قُرَاءِ رِسَالَةِ يَعْقُوبَ أَنْ يُظْهِرُوا أَنَّ لَدَيْهِمُ الْحِكْمَةَ الَّتِي مِنْ فَوْقِ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَكْرِسُوا أَنْفُسَهُمْ لِمَعْيَارِ نَامُوسِ اللَّهِ. وَيَعْمَلُوا هَذَا وَهُمْ مُدْرِكُونَ تَمَامًا لِلأَوْلِيَّةِ الَّتِي أَعْطَاهَا نَامُوسُ اللَّهِ لِمَحَبَّتِهِمْ بَعْضِهِمْ نَحْوَ بَعْضٍ.

وَالآنَ، بَعْدَ أَنْ رَأَيْنَا كَيْفَ خَاطَبَ تَرْكِيزَ يَعْقُوبُ عَلَى الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ اِحْتِيَاجَ قُرَائِهِ وَقَدَّمَ لَهُمُ الْإِزْشَادَ، لِنَنْظُرَ إِلَى مَوْضُوعِ رَيْسِي تَالِثِ أَثَارِهِ يَعْقُوبَ، وَهُوَ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ.

الإيمان

لَوْ أَنَّ هُنَاكَ أَمْرٌ وَاحِدٌ يُمَثِّلُ مِحْوَرَ الْمَسِيحِيَّةِ فَبِالتَّأَكِيدِ هَذَا الْأَمْرُ هُوَ الْإِيمَانُ. فَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَسِيحِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا "إِيمَانًا". كَمَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَسِيحِ بِاعْتِبَارِهِ مَوْضُوعُ إِيمَانِنَا. وَتُوَكِّدُ عَلَى الْعَقِيدَةِ الْبِرُوتِسْتَانْتِيَّةِ سُوَلَا فِيدِي، أَيُّ أَنَّ التَّبَرِيرَ هُوَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ. وَتَرْجِعُ أَهْمِيَّةَ الْإِيمَانِ الَّذِي نَعْتَرِفُ بِهِ الْيَوْمَ إِلَى مَرْكَزِيَّةِ الْإِيمَانِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ نَفْسِهِ. كَذَلِكَ كَانَ الْإِيمَانُ مِحْوَرَ الْمَسِيحِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْمِيلَادِيِّ. وَلِذَلِكَ، أَثَارَ يَعْقُوبَ قَضِيَّةَ الْإِيمَانِ لِلتَّأَكِيدِ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ لِقُرَائِهِ. لَا يَتِيحُ لَنَا الْوَقْتُ سِوَى بَأَنَّ نَذْكَرُ طَرِيقَتَيْنِ رَيْطَ بِهِمَا يَعْقُوبُ بَيْنَ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْإِيمَانِ.

أولاً، يشرح يعقوبُ العلاقةَ بينَ الإيمانِ والأعمالِ، وثانياً يشرحُ العلاقةَ بينَ الإيمانِ والتَّبريرِ. ولننظرُ أولاً لكيفيَّةِ تناوله لمَوْضُوعِ الإيمانِ والأعمالِ.

الإيمان والأعمال

بدأ يعقوبُ حديثه في ٢ : ١٤ بسؤالٍ مُباشِرٍ:

مَا الْمُنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ، هَلْ يَقْدِرُ
الإيمانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟ (يعقوب ٢ : ١٤)

وطبعاً، الجوابُ عن سؤالِ يعقوبِ هو "لا". فالإيمانُ غيرَ المصحوبِ بالأعمالِ لا يستطيعُ
أن يُخَلِّصَ.

كلمةُ "الإيمانُ" أو "يؤمن" هي تَرْجَمَةٌ لِلإِسْمِ اليونانيِ بِيستيس [πίστις]، والفعلُ
بِيستو [πιστεύω]. تَظْهَرُ حصيلةُ الكلماتِ هذه مِائَتِ المَرَّاتِ فِي العَهْدِ الجَدِيدِ. وَهِيَ تُشِيرُ إِلَى عَدَدٍ
مِنَ المَفَاهِيمِ المُخْتَلِفَةِ.

على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ، فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ يُشِيرُ الإيمانُ فِي العَهْدِ الجَدِيدِ إِلَى مُجَرَّدِ
الموافقةِ العَقْلِيَّةِ عَلَى صِحَّةِ شَيْءٍ مَا. وَفِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، تُشِيرُ الكَلِمَةُ إِلَى المُصَادَقَةِ المُوقَّتَةِ. وَفِي
أَحْيَانٍ أُخْرَى تُشِيرُ إِلَى مَا يَدْعُوهُ اللاهوتيونَ عَادَةً "الإيمانَ الخَلَاصِيَّ". وَالإيمانُ الخَلَاصِيَّ هُوَ النِّقَّةُ
الْقَلْبِيَّةُ لمدى الحَيَاةِ، وَالإِتِّكَالِ عَلَى المَسِيحِ بِصِفَتِهِ الطَّرِيقَ لِلخَلَاصِ. وَقَدْ أَدْرَكَ يَعقوبُ أَنَّ "الإيمانَ"
يُمْكِنُ أَنْ يَعْنيَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَلِذَا دَعَا قُرَاءَهُ إِلَى فَحْصِ نَوْعِ الإيمانِ الَّذِي كَانَ لَدَيْهِمْ.

فَمَثَلًا، فِي ٢ : ١٩، تَحَدَّى يَعقوبُ قُرَاءَهُ المَسِيحِيِّينَ مِنْ أَصْلِ يَهُودِيٍّ بِالكَلِمَاتِ التَّالِيَةِ:

أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَفْشَعُونَ! (يعقوب ٢ :
١٩)

فَحِينَ سَلَّمَ يَعقوبُ بِحَقِيقَةِ أَنَّ قُرَاءَهُ كَانُوا يُؤْمِنُونَ، وَهِيَ تَرْجَمَةٌ لِلْفِعْلِ اليونانيِ بِيستو
[πιστεύω]، بِأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، كَانَ يُشِيرُ إِلَى مَا يُدْعَى الشَّمَاعِ.

يَقُولُ لَنَا إقرارُ الإيمانِ القديمِ هذا الموجودِ فِي العَهْدِ القَدِيمِ فِي سفرِ التَّنْبِيَةِ ٦ : ٤ : "إِسْمَعْ يَا

إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَمِنْ وَجْهَةِ نَظَرٍ يَعْقُوبُ، كَانَتْ مُصَادَقَةٌ قُرْآنُهُ الْعَقْلِيَّةُ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ أَمْرٌ حَسَنٌ. وَلَكِنْ بَرُغْمَ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْإِيمَانِ لَيْسَ كَافِيًا، إِذْ "الشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ" بِهِذَا. وَفِي الْحَقِيقَةِ، يَقْشَعِرُ الشَّيَاطِينُ خَوْفًا حِينَ يُفَكِّرُونَ فِيهَا. وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَجْدِيهِمْ نَفْعًا. فَمَجْرَدُ الْمُصَادَقَةِ الْعَقْلِيَّةِ مِنْ دُونِ الطَّاعَةِ لَيْسَتْ إِيْمَانًا خَلَاصِيًّا.

أَوْ كَمَا عَبَّرَ يَعْقُوبُ عَنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ بِبَلَاغَةٍ فِي ٢: ٢٦:

لَأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونِ رُوحٍ مَيِّتٌ، هَكَذَا الْإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ.

(يعقوب ٢: ٢٦)

بَعْدَ نَظَرِنَا إِلَى هَذَا الْمَفْهُومِ الْأَسَاسِيِّ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، عَلَيْنَا أَيْضًا أَنْ نَذْكَرَ تَتَاوُلَ يَعْقُوبَ لِمَوْضُوعِ الْإِيمَانِ وَالتَّبَرُّيرِ.

الإيمان والتبرير

كَانَتْ مَسْأَلَةُ هَوِيَّةٍ مَنْ يَتَبَرَّرُ، أَوْ يَصِيرُ بَارًّا أَمَامَ اللَّهِ، مَحَلَّ جَدَلٍ وَسَطَ الْمُعَلِّمِينَ الْيَهُودِ فِي زَمَنِ يَعْقُوبَ. وَقَدْ اسْتَمَرَّ هَذَا الْأَمْرُ مَوْضُوعًا مَرْكَزِيًّا فِي الْكَنِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ. فَمَنْ هُوَ الَّذِي يُحْسَبُ بَارًّا؟ مَنْ يُعْتَبَرُ بَارًّا؟

يُجِيبُ يَعْقُوبُ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ فِي ٢: ٢١-٢٤ كَمَا يَلِي:

أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالْأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبُوحِ؟ ... تَرَوْنَ إِذَا أَنَّهُ بِالْأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ، لَا بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ. (يعقوب ٢: ٢١-٢٤)

يَنْكَلِمُ يَعْقُوبُ هُنَا عَنِ التَّبَرُّيرِ مُسْتَخْدِمًا الْفِعْلَ الْيُونَانِي دِيكَايُو [δικαίωω]، الَّذِي يَعْنِي 'يُغْلِنُ بَارًّا' أَوْ 'يُبَرِّرُ' أَوْ 'يُبْرِئُ'. وَهُوَ يُوكِّدُ هُنَا عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ تَبَرَّرَ أَوْ تَبَرَّرَ كِبَارًا بِالْأَعْمَالِ، أَيِ بِعَمَلِ تَقْدِيمِهِ ابْنَهُ إِسْحَاقَ لِلَّهِ كَمَا جَاءَ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ ٢٢. وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، اسْتَنْتَجَ أَنَّ لَا أَحَدًا يَتَبَرَّرُ أَوْ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ. فَكُلُّ مَنْ يَقْبَلُهُ اللَّهُ بِصِفَتِهِ بَارًّا يَتَبَرَّرُ بِالْأَعْمَالِ.

أَثَارَ تَصْرِيحِ يَعْقُوبِ هَذَا شَتَّى أَنْوَاعِ الْجِدَالِ عَبْرَ الْقُرُونِ، وَيَعُودُ هَذَا بِشَكْلِ خَاصٍّ إِلَى كَوْنِهِ يَبْدُو مُنَاقِضًا لِمَا عَلَّمَهُ الرَّسُولُ بُولُسُ عَنِ التَّبَرُّيرِ.

يَقُولُ يَعْقُوبُ فِي ٢ : ٢٤:

تَرُونَ إِذَا أَنَّهُ بِالْأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ، لَا بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ. (يعقوب ٢ : ٢٤)

وَفِي الْمَقَابِلِ كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَةِ غَلَاطِيَّةِ ٢ : ١٦:

إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. (غَلَاطِيَّةِ ٢ : ١٦)

وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ تَنَاقُضٍ هُنَا. بَلْ قَدْ اسْتَعْمَلَ يَعْقُوبُ وَبُولُسُ اللفظَ نَفْسَهُ دِيكَايُورِ [δικαίω]، أَوْ "يَتَبَرَّرُ" بِطَرِيقَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ. فَفِي مَعْجَمِ بُولُسِ النَّقْيِيِّ لِلْمُصْطَلَحَاتِ اللَّاهُوتِيَّةِ، كَانَ يَفْرَدُ اسْتِخْدَامَ الْكَلِمَةِ "يَتَبَرَّرُ" لِأَمْرٍ وَاحِدٍ فَقَط. فَبِالنَّسْبَةِ لِبُولُسِ، يُشِيرُ "التَّبَرِيرُ" إِلَى الْإِعْلَانِ الْأُولِيِّ لِبرِّ كُلِّ مَنْ لَدَيْهِمْ إِيْمَانٌ خَلَّاصِيٌّ بِالْمَسِيحِ مِنْ خِلَالِ احْتِسَابِ برِّ الْمَسِيحِ لَهُمْ. أَمَّا يَعْقُوبُ فَقَدْ تَحَدَّثَ عَنِ التَّبَرِيرِ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ. فَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمَصْطَلَحَ دِيكَايُورِ [δικαίω] بِمَعْنَى "تَبْرَهْن" أَوْ "تَبْرَأ". لَمْ يُنْكَرْ يَعْقُوبُ الْحِسَابَ الْأُولِيَّ لِبرِّ الْمَسِيحِ حِينَ يُؤْمِنُ الْإِنْسَانُ إِيْمَانًا خَلَّاصِيًّا. وَلَكِنَّ مُصْطَلَحَ دِيكَايُورِ بِالنَّسْبَةِ لِيَعْقُوبِ يَتَعَلَّقُ بِالْإِنْسَانِ الَّذِي أَعْلَنَ إِيْمَانَهُ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَهَذَا الْإِيْمَانُ "يَتَبْرَهْن" أَوْ "يَتَبْرَأ" بِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي حَيَاةِ هَذَا الْإِنْسَانِ. فَمِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ يَعْقُوبِ، تَقْوُدُ قُوَّةَ وَتَمَكِينِ الرُّوحِ الْقُدُسِ إِلَى تَكْرِيسِ أَمِينٍ لِلْمَسِيحِ. فَبِغَضِّ النَّظَرِ عَمَّا يَدَّعِيهِ الْإِنْسَانُ، إِنْ لَمْ يُظْهِرْ إِيْمَانَهُ وَيَبْرَهْنِ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِنَّ هَذَا الشَّخْصَ فِي النِّهَايَةِ لَنْ يَتَبْرَأَ. وَهَكَذَا، تَحَدَّثَ يَعْقُوبُ عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْإِيْمَانِ وَالتَّبَرِيرِ كَطَرِيقَةٍ يُوَكِّدُ بِهَا عَلَى أَهْمِيَّةِ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ لِقُرَّائِهِ.

إِنْ مَا يَبْدُو تَنَاقُضًا بَيْنَ بُولُسِ وَيَعْقُوبِ حَوْلَ قَضِيَّةِ التَّبَرِيرِ بِالْإِيْمَانِ وَحْدَهُ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْقَضِيَّةُ الرَّئِيسِيَّةُ فِي رِسَالَةِ يَعْقُوبِ، حَسَبَ اعْتِقَادِي. فَهِيَ تَظْهَرُ فِيهِ. وَرَبَّمَا لَيْسَ مِنْ قَضِيَّةٍ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ تَمِ الْكِتَابَةِ عَنْهَا أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ مَوْضُوعٍ آخَرَ بِقَدْرِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمَحْدَدَةِ. أُرِيدُ أَوَّلًا أَنْ أَقُولَ إِنَّ الْكَلِمَةَ الْيُونَانِيَّةَ دِيكَايُورِ تَعْنِي أحيانًا "فِعْلَ التَّبَرِيرِ". وَلِتَبْسِيطِ هَذَا أَقُولُ إِنَّ التَّبَرِيرَ هُوَ بِمِثَابَةِ وَجْهَيْنِ لِعَمَلَةٍ وَاحِدَةٍ. فَمِنْ نَاحِيَةِ، تَجِدُ الْعُفْرَانَ، أَيَّ أَنْ اللهُ يَغْفِرُ لَنَا، وَهَذِهِ هِيَ نَاحِيَةُ الْاِقْتِطَاعِ.

وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى نَجِدُ الْإِضَافَةَ، الَّتِي هِيَ حُسْبَانُ الْبِرِّ. وَمِنْ هَذَا يَأْتِي ذَلِكَ الْإِعْلَانُ: "أَنْتَ مُبَرَّرٌ أَمَامِي". وَهَكَذَا، نَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ بِالْإِيمَانِ، وَهَذِهِ إِحْدَى اسْتِخْدَامَاتِ كَلِمَةِ "التَّبَرِيرِ". وَمِنَ نَاحِيَةِ أُخْرَى، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَسْتَحْدِمَ الْكَلِمَةَ "تَبَرِيرٌ" بِمَعْنَى "التَّبَرُّة" أَوْ "إِظْهَارِ الْبِرِّ". وَهَكَذَا، يَسْتَحْدِمُ بُولُسُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بِالْمَعْنَى الْقَضَائِيَّةِ، بَيْنَمَا يَسْتَحْدِمُهَا يَعْقُوبُ بِمَعْنَى قُدْوَةِ الْأَعْمَالِ، أَيْ بِمَعْنَى إِظْهَارِ الْإِنْسَانِ لِحَقِيقَةِ كَوْنِهِ بَارًّا. وَبِاخْتِصَارٍ، نَقُولُ إِنَّ اسْتِخْدَامَ بُولُسِ لِلتَّبَرِيرِ هُوَ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَوْلِيَّةِ الْإِيمَانِ، بَيْنَمَا يَعْقُوبُ يَنْظُرُ إِلَى التَّبَرِيرِ بِاعْتِبَارِهِ أَمْرًا يَلِي التَّجَدِيدِ، أَوْ بِصِفَتِهِ بَرَهَانًا لِلْإِيمَانِ. وَلِذَا فَإِنَّ سُؤَالَ يَعْقُوبُ هُوَ: "مَنْ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَبَرَ بَارًّا؟ هَلْ هُوَ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، أَمْ مَنْ يَحْيَا حَيَاةً مَبْنِيَّةً عَلَى أَسَاسِ اعْتِرَافِهِ وَإِيمَانِهِ بِاللَّهِ؟" وَبِالنَّسْبَةِ لِبُولُسِ وَيَعْقُوبِ، يَنْبَغِي لِلْإِيمَانِ أَنْ يَعْمَلَ. هَلْ أَقُولُهَا ثَانِيَةً: يَنْبَغِي لِلْإِيمَانِ أَنْ يَعْمَلَ. يَنْبَغِي أَنْ يُنْمَرَ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَرْتَبًا. الْإِيمَانُ الشَّفَهِي لَيْسَ كَافِيًا، وَالْإِيمَانُ الْعَقْلِي لَيْسَ كَافِيًا. فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَحَرَّكَ الْإِيمَانُ وَيَعْمَلَ. فَهُوَ يَحْتَمِلُ التَّجَارِبَ، وَيُطِيعُ كَلِمَةَ اللَّهِ، وَيُنْمَرُ أَنْسَاءً عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، وَلَا يَحَابِي، وَيَلْجِمُ اللِّسَانَ، وَيَتَصَرَّفُ بِحِكْمَةٍ، وَيَمْدُ بِالْقُوَّةِ لِمُقَاوَمَةِ إِبْلِيسَ، وَالْأَهَمُّ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ بَأَنَاءَ مَجِيءِ الرَّبِّ. وَقَدْ عَلَّمَ كُلُّ مَنْ بُولُسُ وَيَعْقُوبُ الْأَمْرَ ذَاتَهُ تَمَامًا.

— لاري واترز

اسْتَمِعْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي بِهَا طَبَّقَ يَعْقُوبُ هَذَا الْمَبْدَأَ فِي ٢: ١٥-١٧:

إِنْ كَانَ أَحْ وَأَخْتُ عَزْيَانِينَ وَمَعْتَارِينَ لِلْقُوتِ الْيَوْمِيِّ، فَقَالَ لَهُمَا أَحَدُكُمَا: «امْضِيَا بِسَلَامٍ، اسْتَدْفِنَا وَاشْبَعَا» وَلَكِنْ لَمْ تُعْطُوهُمَا حَاجَاتِ الْجَسَدِ، فَمَا الْمُنْفَعَةُ؟ هَكَذَا الْإِيمَانُ أَيْضًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ. (يعقوب ٢: ١٥-١٧)

يَصْعُبُ تَخْيُّلَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَشْدِيدٌ عَلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَ يَعْقُوبُ. فَقَدْ كَانَ قُرَّاءُ رِسَالَتِهِ بِحَاجَةٍ لِمُعَالَجَةِ الْإِضْطِرَابَاتِ فِي كَنَائِسِهِمْ بِالطَّاعَةِ الْعَمَلِيَّةِ لِثَامُوسِ اللَّهِ، خَاصَّةً لَوْصِيَةِ أَنْ يَحْبُوا بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ. وَمَهْمَا كَانَ مَا يَدْعُونَهُ بِشَأْنِ إِيْمَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَظْهَرُونَ أَبْرَارًا فِي عَيْنِي اللَّهِ مِنْ دُونِ أَعْمَالِ الْمَحَبَّةِ الصَّالِحَةِ وَالْعَمَلِيَّةِ.

الخاتمة

نظَرْنَا فِي هَذَا الدَّرْسِ إِلَى طَرِيقِي الْحِكْمَةِ فِي رِسَالَةِ يَعْقُوبَ. فَرَأَيْنَا كَيْفَ وَجَّهَ يَعْقُوبُ قُرْآنَهُ نَحْوَ الْحِكْمَةِ التَّأْمَلِيَّةِ بِإِبْرَازِ احتياجهم لِلْحِكْمَةِ التَّأْمَلِيَّةِ وَتَقْدِيمِ الإِزْشَادِ لَهُمْ، وَالرَّبْطِ بَيْنَ الْحِكْمَةِ التَّأْمَلِيَّةِ وَالْإِيمَانِ. وَنَظَرْنَا أَيْضًا إِلَى كَيْفِيَّةِ تَوْجِيهِ يَعْقُوبَ قُرْآنَهُ لِسَعْيِ إِلَى امْتِلَاكِ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ بِإِظْهَارِهِ لَهُمْ إِحْتِيَاجَهُمْ، وَارْشَادَهُمْ أَنْ يُطَبِّقُوا حَقَّ اللَّهِ فِي خِدْمَةِ أَمِينَةٍ وَمَتَضَعَةَ اللَّهِ وَلِشَعْبِهِ.

دَعَا يَعْقُوبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ، الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَصْلِ يَهُودِي، لِاتِّبَاعِ طَرِيقِي الْحِكْمَةِ. وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ هِيَ لِي وَلِكَ أَيْضًا الْيَوْمَ. فَنَحْنُ نَحْتَاجُ أَيْضًا لِلْحِكْمَةِ التَّأْمَلِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ. وَلِلْحَصُولِ عَلَى هَذِهِ الْعَطَايَا مِنَ اللَّهِ، يَنْبَغِي أَنْ نَخْضَعَ لِلِإِزْشَادِ الَّذِي قَدَّمَهُ يَعْقُوبُ. وَعَلَيْنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَى أَنْ نَعْمَلَ هَذَا بِإِيمَانٍ وَتَكْرِيْسٍ كَامِلٍ لِلَّهِ. وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي نَتَّبَعُ فِيهِ الْحِكْمَةَ الْأَرْضِيَّةَ بِسُهُولَةٍ، يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ رِسَالَةَ يَعْقُوبَ عَلَى مَحْمَلِ الْجَدِّ، وَنَسْتَلُكَ فِي طَرِيقِي الْحِكْمَةِ لِلذَّيْنِ هُمَا مِنَ اللَّهِ.